

دكتور عصمت سيف الدولة

هذه الدعوة
إلى الإعراف المستحيل

هذه الدعوة إلى الاعتراف المستحيل

قصة الإعتراف :

١ - تطوف بالعالم اليوم دعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية تحرضها على الإعتراف بإسرائيل اعترافا مبادرا أو إعترافا متزامنا . فكرة الإعتراف بإسرائيل هذه ليست جديدة . فقد ثبت في بعض الرؤوس منذ بداية معارك تحرير فلسطين من الغزو الصهيوني ، المعارك الثورية أو الحربية أو السياسية أو الفكرية أو الدعائية . وكانت تبقى كامنة أو تتردد خفية إلى أن تظهر دعوة صريحة أو ضمنية كلما حقق الصهاينة نصرا أو حاقت بالعرب هزيمة .

كان أول ظهورها دعوة ضمنية بعد يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، قبل ذلك اليوم كان العرب قد خاضوا معركة سياسية خاسرة بدأت في مؤتمر لندن الثاني الذي انعقد في سبتمبر ١٩٤٦ وقدموا فيه اقتراحا بدولة فلسطين موحدة تضم العرب واليهود في مواجهة مشروع موريسون القائم على التقسيم . وانتقلت المعركة الى ورقة هيئة الأمم المتحدة وانتهت يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ بهزيمة عربية . في ذلك اليوم أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا بتقسيم فلسطين العربية الى دولتين إحداهما للصهاينة والأخرى للعرب ، كان قبول العرب قرار التقسيم يعنى فيما يعنى الإعتراف المسبق . اذا لم تقل الصريح بدولة اسرائيل . فرفض العرب . حينئذ أنبرت مجموعات وأفراد وأحزاب في الوطن العربى تتميز إما بالعداء للقومية وإما بالولاء للاستعمار وإما بالجهل . تدين الرفض العربى لقرار التقسيم وتدعو الى قبوله بما يعنيه من اعتراف بدولة الصهيونية . وتقدم لذلك حججا شتى قد نعرض لها فيما بع . ثم لم تلبث هذه الدعوة الضمنية حتى تحولت الى دعوة صريحة على أثر الهزيمة العربية فى معارك مايو - يوليو ١٩٤٨ ، وإبرام اتفاق الهدنة الثانية فى رودس عام ١٩٤٩ . ثم عادت الدعوة الى

الكمون بعد معركة ١٩٥٦ . أو لأن مجمل حصيلة تلك المعركة كانت انتصارا وهزيمة عربية صهيونية .

- ٣ -

وثانيا ، لأنها كشفت عن العلاقة العضوية بين الكيان الصهيوني وبين القوى الاستعمارية فتغيرت إلى حد كبير مواقف بعض الذين كانوا يتصورون أنها تستحق الاعتراف لأنها دولة ديموقراطية وقيل تقدمية أيضا .

بعد الهزيمة العسكرية الجسيمة التي أصابت مصر وسوريا والأردن عام ١٩٦٧ برزت الدعوة إلى الاعتراف بإسرائيل المنتصرة في شكل جديد أكثر ثقة من أية مرة سابقة ، تدعمها - أولا - هزيمة ثلاث دول عربية مسلحة تسليحا جيدا من بينها مصر المتطورة إقتصاديا واجتماعيا وعسكريا تحت قيادة عبد الناصر ، بما توحى به من أن كل أمل للعرب في تحرير فلسطين قد تبدد أو يجب أن يتبدد . فلم تعد ثمة حاجة إلى دعوتهم للاعتراف . ما على الصهاينة إلا أن ينتظروا بجوار تليفوناتهم إلى أن يتلقوا الاعتراف . ثانيا ، أنه إذا كان ثمة بقية من العناد العربي فقد تكلفت الولايات المتحدة بمحاولة تطويعه ، فحالت - لأول مرة في تاريخ الأمم المتحدة دون أن يصدر قرار بإيقاف إطلاق النار مصحوبا بطلب العودة الى المواقع التي بدأ منها القتال . وهكذا كان كما جاء بالقرار ٢٤٢ الشهير ، فأصبحت الأرض العربية في سيناء وغزة والضفة والمرتفعات السورية رهينة في يد الصهاينة لاترد إلا بعد الاعتراف بإسرائيل .

ولكن لم يمض وقت حتى أجمع في مؤتمر الخرطوم الذي انعقد في أغسطس ١٩٦٧ على ألا صلح ولا مفاوضة ولا اعتراف .

٢ - بعد ذلك الوقت برزت الى مقدمة الصفوف العربية قوة جديدة هي قوة الثورة الفلسطينية تحت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية . كانت الثورة قد بدأت بداية يحجبها ظل الدولة العربية يوم أول يناير ١٩٦٥ على أيدي مقاتلي حركة تحرير فلسطين (فتح) . ومازالت محجوبة بظل الدول العربية إلى أن انهزمت تلك الدول فظهرت الثورة الفلسطينية كمعقد أمل يكاد يكون وحيدا للاستمرار والنضال المسلح إلى

أن يتم تحرير فلسطين . ولعب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر دورا أساسيا فى إفساح الطرق أمام الثورة الفلسطينية لتأخذ مكانها فى المقدمة عربيا ودوليا .

لم تغب دلالة ذلك الحدث التاريخي عن أحد ، لقد كانت تعنى أن العرب قد ملكوا فى النهاية الأداة الصحيحة المناسبة لتحقيق النصر فى معركة

- ٤ -

تحرير فلسطين . إذ هى ثورة وليست دولة وضد دولة معترف بها من كثير من الدول ومن هيئة الأمم المتحدة ذاتها ، وبالتالي فإنها تستطيع من حيث هى ثورة وليست دولة أن تستمر حتى النصر متحررة من كافة القيود الدستورية الدولية التى تحد من مقدرة الدول على القتال ضد دولة معترف بها . وقد رحبت بها كل الدول العربية وأمدتها بما استطاعت من تأييد معنوى ومادى لا لأنها رفيق نضال بل لأنها تقدم أيضا الى الدول العربية اعذارا لا يبدو مقبولا للتحرر من التزاماتها بتحرير فلسطين وذلك بأن تكون الثورة هى المسئولة عن هذا التحرير . وقد صاغوه شعارات تقول : شعب فلسطين هو المسئول عن تحرير فلسطين ، لاتدخلوا فى شئون الثورة ، نحن نقبل ماتقبله الثورة ... الخ .

ولكن الثورة كانت تحمل فى ذاتها بذور مخاطر جسيمة ، أن نبتت ونمت هددت أصدقاءها وأعدائها جميعا .

أما أصدقاؤها ، ولنقل الدول العربية ، فقد كانت تمثل بالنسبة إليهم تجربة غير مأمونة العواقب . فهى ثورة شعبية تقاتل من خارج حدود فلسطين أى من أرض هذه الدولة أو تلك . ويتوزع الاحتياطي البشرى لها فى كل الأرض العربية ، وهى تحقق انتصارات محدودة ولكنها بالقياس إلى هزائم الدول العربية تبدو ذات مقدرة هائلة على تخصيص الاتجاهات الثورية فى كل الأقطار . ثم أنها تقاتل من أجل قضية مسلم بأنها قومية وبالتالي إنها ، شاءت أم أبت ، لا بد لها من أن تتطور خلال المعارك أو من خلال التعامل مع الدول الشعبية على امتداد الوطن العربى ، والتأثير المتبادل بين هدف تحرير فلسطين وهدف التحرر

والتقدم والوحدة ، فتصبح ثورة قومية ، وهذا ما تخشاه الدول العربية خشية الموت .

ولقد استطاعت الدول العربية أن تبقى على مايرضيها من الثورة وأن تحتوى المخاطر المتوقعة عن طريقين . الطريق الأول الحضور الفعلى داخل إطار الثورة وذلك بالمساهمة فيها عن طريق منظمات مرتبطة بها أو متحالفة معها أو تابعة لها ، تقوم عندما تصل الثورة الى مرحلة الخطر المتوقع بإيقاف تطورها وإبقائها فى الحدود المقبولة ، الطريق الثانى تطويق الثورة بالقيود التى تحول فى المستقبل دون أن تصبح خطرا وذلك

- ٥ -

بإفساح مكان لها كعضو أصيل فى جامعة الدول العربية حيث تكون ملتزمة بما تلتزم به الدول العربية من التشاور والتعاون والتضامن وعلى وجه خاص عدم التدخل فى شئون بعضها البعض والضمان المتبادل لأمنها الداخلى . وهكذا قبلت (فتح) وبقية المنظمات الدخول فى إطار منظمة التحرير الفلسطينية وعزل أحمد الشقيرى وحل محله ياسر عرفات واستحق منذ وقتها أن يعامل عربيا معاملة رؤساء الدول حتى يمكن مطالبته بأن يسلك فى قيادته مسالك رؤساء الدول . هل شعرت الثورة بآثار هذا التطويق وهل استمعت فى صالونات الجامعة العربية إلى واحد أو أكثر من " الإخوة " الملوك والرؤساء يدعوها للإعتراف بإسرائيل ؟ ... لست أدرى . ولكن الذى أدريه أن رئيس منظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقواتها المسلحة قد دعى ، كما يدعى رؤساء الدول ، الى حضور جلسة من جلسات مجلس الشعب فى القاهرة ، وهناك سمع بأذنيه إعلان الرئيس أنور السادات عن استعداده لزيارة القدس المحتلة .

٣- هذا ماكان من أمر الدول العربية الصديقة أما الأعداء الذين تقودهم الولايات المتحدة الامريكية فيجدوا أن منظمة التحرير الفلسطينية تنطوى على عنصرين ، فمن حيث هى ثورة شعبية مسلحة تملك المقدرة على الاستمرار فى القتال حتى النصر ، أى حتى تحرير فلسطين وتصفية المؤسسة الصهيونية المسماة اسرائيل . وإن من أهم

العوامل المساعدة على هذا الانتصار قابليتها لاستمرار فى القتال بأشكال بلغة المرونة والتنوع لاتستطيع أن تتوفر لأية دولة بما فيها اسرائيل ، وإلى مدى زمنى مفتوح على وجه لاتستطيع أن تحتمله أية دولة بما فيها اسرائيل . وهى بهذا تمثل خطرا داهما على المؤسسة الصهيونية ، أما العنصر الثانى فى منظمة التحرير الفلسطينية فهو هويتها السياسية التى أصبحت عنصرا بالغ الأهمية منذ أن اعترف لها عربيا بأنها الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى ، بهذه الصفة يمكن حملها على الاعتراف باسرائيل ، فتعاملت القوى المعادية مع منظمة التحرير الفلسطينية طبقا لمخطط ذى هدفين . أولهما تصفيتها كثورة لتأمين الوجود الصهيونى فى فلسطين ، والإبقاء عليها كمنظمة سياسية تمثل الشعب الفلسطينى لتقدم فى النهاية الاعتراف المطلوب باسرائيل .

- ٦ -

ولقد بدأ تنفيذ هذا المخطط فى النصف الثانى من عام ١٩٧٠ حينما اقتلعت قواعد الثورة من شرق الأردن وطوردت قواتها حتى لبنان ، وما إن استردت قوى الثورة أنفاسها واستقرت فى لبنان حتى بدأ القتال ضدها فيما تطور بعد الى حرب أهلية صاحبها حرب الاغتيالات فى قلب بيروت وفى الخارج .

وفى تلك الأثناء ذاتها أى بينما كان مخطط تصفية الثورة ينفذ بأساليب متصاعدة من القسوة والوحشية كانت منظمة التحرير تتقدم على طريق مرسوم ، وتحرز مكاسب سياسية ومعنوية ودعائية غير قابلة للإنكار . تقدمت أولا الى موقع الاعتراف العربى الكامل بها ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطينى وأتيح لها أن تمارس سلطتها عليه أينما كان بمثل ما تمارس الحكومات من سلطة على رعايا الدولة فتفرض عليهم التجنيد وتجبى منهم الضرائب ، وتقدمت فكسبت على المستوى الدولى اعترافا متناميا فأصبح لها فى كثير من الدول " مكاتب " شبه دبلوماسية . وتقدمت فكسبت ما يكاد يكون إجماعا فى رأى العام العالمى على استحالة استقرار السلام فى " الشرق الأوسط " فى غيبة الشعب الفلسطينى الذى هى ممثله الشرعية والوحيدة .

وتقدمت فكسبت مقعد المراقب فى هيئة الأمم المتحدة وعومل رئيسها معاملة رؤساء الدول ... الخ .

٤- هذا التزامن بين محاولة تصفية المنظمة كثورة ومحاولات تدعيمها كمؤسسة سياسية لفتتنا الى ظاهرة " الرشوة " الكامنة فى هذا التعامل المنافق ، ومدى المخاطر التى تنتظر المنظمة على تطوير تقدمها ، فكتبنا محذرين منذرين سلسلة من المقالات نشرت عام ١٩٧٥ تحت عنوان "التقدم على الطريق المسدود " جاء فيها :

" لقد فتحت الثورة الفلسطينية الطريق وتقدمت عليه وحققت مكاسب لايمكن إنكارها ، وفرضت الثورة الفلسطينية على القوى المعادية أن تفسح لها الطريق فتقدمت عليه وحققت مكاسب لايمكن إنكارها ، يستويان فى الحاضر . ولكن المستقبل مختلف ، إن ذات القوى المعادية للأهداف الاستراتيجية للثورة قد أقامت فى نهاية الطريق سدا معلوما ومعلنا أساسه الاعتراف الصريح أو الضمنى بإسرائيل ، أو ضمان أمن حدودها ، أى تصفية

- ٧ -

الثورة ، إن الثورة الفلسطينية تتقدم ولكن على طريق مسدود ، وغدا أو بعد غد ستصل خلال تقدمها الى السد ، ولن يقول أحد أنه قد فوجئ فإن كل شئ مفضوح . فما الذى ستفعله الثورة حينئذ ؟.

".. إن كل القوى التى تراجعت أمام الثورة حتى الآن ستدير ظهرها الى السد وتواجه الثورة من موقف عداء سافر . إن الذين مهدوا من قبل للتخلص من المسؤولية سيقفون بعيدا ويقولون للثورة قررى أنت مصيرك فإن الشعب الفلسطينى هو المسئول عن تقرير مصيره . والذين اعترفوا بالشعب الفلسطينى وبأن منظمة التحرير هى ممثله الشرعى والوحيد سيقولون لها قد آن الآوان لتعترفى بالوجود الاسرائيلى . والذين استقبلوا قائد الثورة فى هيئة الأمم المتحدة وقدموا الى الثورة مقعد المراقب سيطلبون من الثورة أن تلتزم بميثاق الأمم المتحدة فلا تستولى على الأرضى بالقوة ولاتعدى على دولة عضو فيها وتحترم قراراتها التى تعترف بالوجود الاسرائيلى ، باختصار .. عند السد ،

ستكون الثورة الفلسطينية مطالبة بالثمن من الأعداء والحلفاء والأصدقاء ، وعلى المستوى الرسمي والعربي والدولى ، وفى مواجهة كل هؤلاء سيكون عليها أن تجيب على السؤال الصعب : ماذا تفعل ؟..

٥- نشر هذا التقرير يوم ٢ فبراير (شباط) عام ١٩٧٥ أى قبل اليوم بنحو سبع سنوات . وتلته مقالات تضع تحت تصرف الثورة الفلسطينية بدائل منهجية وفكرية واستراتيجية وتكتيكية وتنظيمية على مستويات علاقاتها الداخلية والعربية والدولية ، السلمية والمقاتلة ، بقصد تمكينها من إعداد نفسها ليوم تواجه فيه السد الذى يقطع عليها طريق التحرير ..

غير أنه فى المدة من ١٩٧٥ حتى ١٩٧٩ حلت بالعرب ، كل العرب ، أبشع هزيمة وأكثرها تدميرا فى تاريخهم كله ، أكثر بكثير من هزيمتهم أما الصليبيين الذين اغتصبوا الأرض وأقاموا الممالك ثم انهزموا بعد قتال استمر نحو قرن . أكثر بكثير من هزائم ١٩٤٨ و١٩٥٦ و١٩٦٧ مجتمعة. تلك هزيمة العرب التى تحققت فى مصر تواريخ متتالية بدأت باتفاقية فض الاشتباك الثانى فى أيلول سبتمبر ١٩٧٥ واتفاقيات كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر والاتفاقية المسماة اتفاقية السلام فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ وبها تمت الهزيمة العربية المروعة

- ٨ -

باعتراف حكومة مصر بإسرائيل ومطالبتها العرب بأن يعترفوا بها .

وأسميها هزيمة لكل العرب ، لأنه لا يوجد فى الوطن العربى دولة أن نظام أو حزب أو جماعة أو منظمة لم تسهم إيجابيا فى تداعى الأحداث على الساحة العربية تداعيا أدى إلى اعتراف حكومة مصر بإسرائيل ومطالبتها العرب بأن يعترفوا بها . كلهم مذنبون بالاشتراك فى طريق التحريض أو المساعدة أو الاتفاق ، بالفعل أو بالامتناع عن الفعل ، فى الهزيمة التى وقعت بهم جميعا فى مصر العربية .

٦- فى اتفاقيات كامب ديفيد وثيقة تحمل " إطار السلام فى الشرق الأوسط " تحت عنوان فرعى عن " المبادئ المرتبطة " . يجرى نص هذه المبادئ على الوجه الآتى :

" ١- تعلن مصر وإسرائيل أن المبادئ والنصوص المذكورة أدناه ينبغى أن تطبق على معاهدات السلام بين إسرائيل وبين كل جيرانها مصر والأردن وسوريا ولبنان .

" ٢- على الموقعين أن يقيموا فيما بينهم علاقات طبيعية كذلك القائمة بين الدول التى هى فى حالة سلام كل منهما مع الأخرى ، وعند هذا الحد ينبغى أن يتعهدوا بالالتزام بنصوص ميثاق هيئة الأمم ، ويجب أن تشمل الخطوات التى تتخذ فى هذا الشأن :

" (أ) الاعتراف الكامل .

" (ب) إلغاء المقاطعة الاقتصادية .

" (ج) الضمان فى أن يتمتع المواطنون فى ظل السلطة القضائية بحماية الإجراءات القانونية واللجوء إلى القضاء .

وتشترط الوثيقة فى موضع آخر أن تبنى الدول العربية استعدادها للتفاوض مع إسرائيل للوصول إلى هذه المبادئ ، أى أن حكومة مصر فى ذلك الوقت قد ارتضت لنفسها أن تشترط على الدول العربية أن تبادر بإعلان استعدادها للتفاوض مع إسرائيل على أساس أنها ستقبل الاعتراف الكامل بها .. بعد هذا أصبحت الدعوة إلى الاعتراف بإسرائيل خطأ رئيسياً فى السياسة العربية والدولية لحكومة مصر ، تضع وراءها كل ثقلها وتدافع

- ٩ -

عن الاعتراف بإسرائيل على كل المنابر الداخلية والعربية والدولية ، ورفض العرب كل العرب هذه الدعوة فكانت القضية والعزلة والانعزال .

٧- من حسن الحظ أو من سؤئه ، تتوقف النتيجة على ما يجرى فى المستقبل ، أن اتفاقيات كامب ديفيد تجاهلت تماما منظمة التحرير الفلسطينية من حيث هى ثورة ومن حيث هى منظمة سياسية تمثل الشعب الفلسطينى " لا " لم تتجاهلها فقط بل استبعدتها أيضا .

تنص اتفاقيات كامب ديفيد تحت عنوان " إطار السلام والشرق الأوسط " على أنه :

" ١- ينبغى أن تشترك مصر وإسرائيل والأردن وممثلوا الشعب الفلسطينى فى المفاوضات الخاصة بحل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها " على مراحل تنتهى بإقامة " سلطة حكم ذاتى - مجلس إدارى - فى الضفة الغربية وغزة فى أسرع وقت ممكن " بعدها تبدأ فترة انتقالية مدتها خمس سنوات فى نهاية الخمس سنوات تجرى " المفاوضات بين مصر واسرائيل والأردن والممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة لتحديد الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة وعلاقتها مع جيرانها " وإبرام معاهدة سلام بين الأردن واسرائيل " وتقول الوثيقة :

ستقرر هذه المفاوضات ضمن أشياء أخرى وضع الحدود وطبيعة ترتيبات الأمن ، ويجب أن يعترف الحل الناتج عن المفاوضات بالحقوق المشروطة للشعب الفلسطينى ومتطلباتهم العادلة ، ماذا كانوا يعنون بالشعب الفلسطينى وحقوقه المشروعة ومتطلباتهم العادلة ؟ لم يترك الصهاينة والأمريكيون فرصة لأحد ليفسر هذه الكلمات كما يريد . فأضافت الوثيقة :

بهذا الأسلوب سيشارك الفلسطينيون فى تقرير مستقبلهم لأن (١) ممثلى السكان فى الضفة الغربية وغزة سيشاركون فى المفاوضات مع مصر واسرائيل والأردن على الوضع النهائى للضفة الغربية وغزة . ولأن (٢) ما يتفقون عليه سيعرض على التصويت من جانب المنتخبين من السكان فى الضفة الغربية وغزة . ولأنه (٣) ستتاح الفرصة للممثلين المنتخبين عن السكان فى الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفية التى سيحكمون بها أنفسهم

تنفيذا لاتفاق الحكم الذاتي ، ولأنهم (٤) سيشارك ممثلو السكان في الضفة الغربية وغزة في المفاوضات بشأن معاهدة السلام بين إسرائيل والأردن .

وحتى لا يثور أى لبس فيما تعنيه اتفاقيات كامب ديفيد بالشعب الفلسطيني وماتعنيه بحقوقه المشروعة ، نصت الوثيقة على أنه فى خلال فترة الانتقال :

" يشكل ممثلو مصر وإسرائيل والأردن وسلطة الحكم الذاتى لجنة لتكون صلاحيتها الموافقة بالإجماع على السماح بعودة الأفراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة عام ١٩٦٧ مع اتخاذ الإجراءات الضرورية لمنع الاضطرابات وأوجه التمزق "

وهكذا استبعدت اتفاقيات كامب ديفيد من دلالة الشعب الفلسطيني الذين تركوا فلسطين قبل ١٩٦٧ كافة ، والذين تركوها بعد ١٩٦٧ ولكن لم يطردها ، والذين طردوا بعد ١٩٦٧ وترى إسرائيل أن عودتهم تسبب الاضطراب ، وانحصر الأمر فى الشعب الفلسطيني المقيم فى الضفة الغربية وغزة .

ولقطع سبل التأويل والتفسير نهائيا على ما تعنيه كلمة الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروطة ، ألحقت باتفاقيات كامب ديفيد وأصبحت جزءا لا يتجزأ منها رسالة موجهة من مناحم بيجين الى جيمى كارتر رد عليها الرئيس الأمريكى يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٧٨ برسالة تقول :

" احيطكم علما بأنكم أبلغتمونى بما يلى (أ) أنكم ستفسرون وتفهمون عبارة " الفلسطينيين " أو " الشعب الفلسطينى " الواردة وكل فقرة من وثيقة إطار التسوية المتفق عليها باعتبارها تعنى " عرب فلسطينيون " .. (ب) أن الحكومة الاسرائيلية تفهم وتفسر تعبير " الضفة الغربية " فى أى فقرة ترد فيها فى وثيقة إطار التسوية على أنه يعنى يهودا والسامرة " ..

٨- كل شئ يقترب من النهاية ، حكومة مصر اعترفت بإسرائيل وحملت مسئولية الدعوة إلى الاعتراف بها ، والقطيعة الحتمية بين مصر وأمتها العربية كقيلة بأنها تكشف عجز الدول العربية في غيبة مصر . عجزها حتى عن الدفاع عن أمنها الداخلى أو الخارجى ، بقيت الثورة الفلسطينية.

- ١١ -

إذا كانت اتفاقيات كامب ديفيد قد استبعدت منظمة التحرير الفلسطينية ، ودعت الدول العربية لبنان والأردن وسوريا لاعتراف ، فإن اعتراف تلك الدول لن ينهى الثورة لأنه ليس حجة عليها ولا هو ملزم بها ، لا بد إذن من إقناع منظمة التحرير الفلسطينية ، بأشد وسائل الإقناع وحشية بالتخلص من هويتها الثورية وقبول الاعتراف بإسرائيل . وحبذا لو أدت تلك الوسائل ذاتها - توفيراً للتكلفة - إلى حمل لبنان ، المشار إليها في اتفاقيات كامب ديفيد على الاعتراف بإسرائيل . حينئذ يمكن دعوة الأردن لتلعب دور المفاوض المشار إليه في كامب ديفيد . أما سوريا فيسأتى دورها حين تجد نفسها وحيدة عاجزة ، وحيدة وعاجزة عن تغيير الاتجاه العربى إلى الإعتراف . إذن هذا يقتضى أن يكون الاتجاه قويا إلى درجة تجرف سوريا أيضا . ويمكن ذلك باتفاق جماعى أو شبه جماعى من الدول العربية على الإعتراف بإسرائيل ولو اعترافا ضمنيا ، الخطوة الأولى مؤتمر عمان حيث يتم الاتفاق على اختيار الحل السلمى والتنازل عن الخيار العسكرى ، الخطوة الثانية مبادرة الملك فهد التى تتضمن استعدادا خجولا لاعتراف الضمنى بإسرائيل ، الخطوة الأخيرة فى مؤتمر فاس حيث تم الاتفاق الصريح على الأعتراف الضمنى بإسرائيل .

إلى أن يتم هذا تغزو إسرائيل لبنان بقوة عسكرية معدة لتعرية سوريا فيما لو حاولت التصدى لها . وتحاصر إسرائيل منظمة التحرير الفلسطينية فى غرب بيروت وتظل تدك المدينة بكل أنواع الأسلحة مؤجلة اقتحامها من اسبوع إلى اسبوع ، هناك كان السد الذى أقيم على طريق الثورة الفلسطينية ولقد كان سدا ماديا أحاط بها من البر والبحر والجو ، وحينما ارتبطت الثورة بالسد تلفتت حولها فوجدت أن كل الأصدقاء والحلفاء والأعداء على المستوى العربى والدولى ينتظرون

منها الجواب على السؤال الصعب : ماذا تفعل ؟ ولا يفعلون شيئا .
وذهب اليهم عملاء الولايات المتحدة يطلبون منها الاعتراف باسرائيل
فأعطاهم أبو عمار قصاصة ورق ذات صيغة غامضة ، يحاول فيها أن
يوهم الجميع بأنه على استعداد ليعطي مايعرف تماما أنه مطلوب منه :
الإعتراف ، وحالت بطولة مقاتلى الثورة وحلفائها من القوى الوطنية
اللبنانية والعربية والإسلامية دون إمكان عقد الصفقة خلال الحصار
فاكتفت الولايات المتحدة الأمريكية بتجريد

- ١٢ -

مقاتلى الثورة من أسلحتهم وتوزيعهم فى عدة دول عربية فى مخيمات
أخرى من الأسلاك الشائكة أسموها معسكرات ، ثم جاء دور منظمة
التحرير الفلسطينية المطلوب استمرار وجودها الى أن تعترف ، فأتيح
لها أن تقفز من فوق السد وتخرج من بيوت فى حماية الأساطيل
والقوات العسكرية الأمريكية وحلفائها .

٩- هنا انتهى دور الأدوات والعملاء والتابعين فتقدمت الولايات
المتحدة الأمريكية الى مركز قيادتها الذى مارست منه حقيقة التخطيط
لكل ماحدث ، وتوفير وسائل تنفيذه ، تقدمت علنا لتطلب بنفسها ، لأول
مرة فى تاريخ الصراع ، أن تعترف منظمة التحرير الفلسطينية
باسرائيل . قدرت الولايات المتحدة أن ماحدث فى بيروت وصابرا
وشاتيلا وماحدث قبله كفيل بأن يقتع منظمة التحرير الفلسطينية
بالإعتراف باسرائيل فطلبتة فيما عرف بمبادرة ريجان ... وبدأت
اجراءات تلقى الاعتراف عن طريق الصيغة التى تم الاتفاق عليها فى
كامب ديفيد ، يتولى الأردن التفاوض والصلح والإعتراف باسرائيل
على وجه يلزم الشعب الفلسطينى إذ ما دخل الشعب الفلسطينى فى
دولته ، وما يزال العرض مستمرا .

فتطوف بالعالم اليوم دعوة موجهة الى منظمة التحرير الفلسطينية
تعرضها على الاعتراف باسرائيل اعترافا مبادرا أو متزامنا ، وتصاغ
الدعوة صيغة مستعجلة ومتوترة فى مصر العربية بالذات .

ما هو هذا الإقرار ولماذا يدعون إليه بمثل هذه الحرارة ولماذا يوجهونه الى منظمة التحرير الفلسطينية وماهى الآثار التى يمكن أن تترتب عليه ؟.

ماهية الإقرار :

١٠ - الإقرار كلمة مضللة لأنها بذاتها ناقصة الدلالة ولا تكمل دلالتها إلى نسبتها الى موضوع . فهى بذاتها تعنى - لغويا - الإقرار على النفس ، أما مضمون الإقرار فينتظر تكمله تفصح عنه . وهكذا تؤدى كلمة الإقرار وظيفة مباحة لأى مضمون ، فالإقرار قد ينصب على الشئ وقد ينصب على نقيضه ، من هنا يصبح من المجال الموثوق لمعرفة الدلالة الكاملة

- ١٣ -

للإقرار فى مضمونه ، وكلما كان المضمون واضح الدلالة كان الإقرار واضح الدلالة ، مثلا ، الإقرار بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين جملة تبقى غير ذات دلالة إلى أن نعرف من صاحبها ماذا يعنيه على وجه التحديد بالحقوق ، وبالمشروعة وبالشعب ، وبفلسطين . ثم أن كلمة الإقرار تضلك من ناحية أخرى حتى لو انصبت على مضمون محدد . ذلك لأنها اقرار على النفس بوجود المضمون ولكنها لا تتضمن تحديدا لموقف صاحبها من المضمون الذى أقر به ، فالإقرار بوجود اسرائيل كالإقرار بالأمر الواقع لايعنى موقفا محددًا منها رافضا أو قابلا ، فمثلا لا يوجد عربى واحد أو حتى غير عربى ينكر أن اسرائيل موجودة . وهل كانت منظمة التحرير الفلسطينية تقاتل مطاحن الهواء أم كانت تعاني وجودا صهيونيا على أرض فلسطين اسمه اسرائيل ، كذلك لم تكن الدول العربية تحارب عدوا موهوما كما تفعل الجيوش والمناورات العسكرية بل كانت تحارب وجودا عسكريا نشيطا هزمها أكثر من مرة . ولم تكن الأجيال العربية المتعاقبة تعاني من كابوس ثقيل يتلاشى بمجرد اليقظة بل كان القتال العربى كله ، على مدى أجياله المتعاقبة يدفع عدوانا متجسدا فى مؤسسة صهيونية يقال لها اسرائيل .

هذا بالإضافة الى أن اسرائيل نفسها لم تترك فرصة واحدة دون أن تنتهزها لتذكير كل عربى بوجودها ولو بأكثر الوسائل قسوة ووحشية .

نحن جميعا ، إذن ، نعترف بإسرائيل بمعنى أننا لاننكر وجودها ، فما هو الاعتراف الذى يدعوننا إليه . لابد أن يكون اعترافا بمضمون مختلف عن وجود اسرائيل .

إنه الاعتراف " بدولة " إسرائيل وهو أمر مختلف تماما عن الاعتراف " بوجود " إسرائيل . ذكر بهذه التفرقة رئيس مجلس الدولة الصينى فيما نشرته الصحف يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٨٢ حينما قال فى المؤتمر الصحفى المشترك مع رئيس جمهورية مصر العربية أن مسألة وجود دولة شئ والاعتراف بهذه الدولة شئ آخر ويخضع لتقديرات أخرى ، ليست هذه حكمة صينية ولكنها بدهية دولية .

١١- ذلك لأن الاعتراف الذى يعرفه العالم مصطلح من مصطلحات

- ١٤ -

القانون الدولى العام ، ذلك القانون الذى ينظم العلاقات فيما بين الدول كاملة السيادة . ومن هنا نعرف الشرط الأول للاعتراف وهو أن يكون صادرا عن دولة ومنصبا على دولة ، أى انه يصدر وينصب على مايسمونه أشخاص القانون الدولى وهى الدول . والدولة كما هو معروف لاتقوم الا بقيام عناصرها الثلاثة : إقليم معين وشعب معين وسلطة تمثل سيادة الشعب على الأقليم ، الشرط الثانى ألا يكون وليد إكراه كما حدث عام ١٩١٨ حينما أكره الحلفاء ألمانيا على الاعتراف بتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا لأن الإكراه يبطل الإرادة ، والخضوع له يمس السيادة ، الشرط الثالث ألا يكون مشروطا بمعنى أن ينصب الاعتراف على الدولة المعترف بها كما هى شعبا وإقليما وسيادة ، فإن جاء مشروطا لا يعد اعترافا وإن اعتبر وعدا بالاعتراف إلي أن تتحقق شروطه . وهذا يعنى تماما - فى القانون الدولى - أن ينصب الاعتراف على الدولة المعترف بها كما تدعى هى لنفسها شعبا أو إقليما أو سيادة.

إذا صدر هذا الإعراف يرتب عليه القانون الدولي آثارا ملزمة لمن صدر منه الإعراف ، ذلك لأن الإعراف لايلزم الدولة المعترف بها بشئ خاص في مواجهة من اعترف . أهم هذه الآثار شرعية الدولة المعترف بها في مواجهة الدولة المعترفة بحيث لايجوز للأخيرة أن تنازعها أو أن تنكر عليها سيادة شعبها على إقليمها واستقلاله بهذه السيادة وحقه في ممارستها بالطريقة التي يراها بدون تدخل من خارجه . إن الإعراف إقرار على الدولة المعترفة نفسها بأن الدولة المعترف بها " دولة " بكل ماتعنيه كلمة الدولة في القانون الدولي من عناصر التكوين وشرعية الوجود . وهو إقرار نهائي . لايعنى هذا أنه غير قابل للسحب ، ولكن يعنى ان سحبه قد تعتبره الدولة عملا عدوانيا من حقها أن تدفعه بالقوة المشروعة دوليا ، ولكنه على أى حال لا ينتقص من شرعيتها التي تم الإعراف بها .

وأخيرا فإن الإعراف لايلزم إلا من صدر منه وليس له أية حجية في مواجهة الدول التي لم تعترف أى أنه علاقة ثنائية ، وإن كان يمكن أن يكون علاقة جماعية حين تعترف مجموعة من الدول معا بدولة أخرى ، أو تعترف دولة واحدة بمجموعة من الدول . ولكنها في هذه الصورة الجماعية يبقى ذا

- ١٥ -

حجة بين أطرافه المتعددين ولايحتج به على من لم يشترك معهم فى الاعتراف .

هذا هو الإعراف الذى يدعون منظمة التحرير الفلسطينية إلى اصداره إقرارا على نفسها بشرعية إسرائيل ، وتطوف دعوته اليوم أرجاء الدنيا ، فهل هو ممكن أم هو مستحيل ؟..

الاعتراف المستحيل :

١٢- فى هذا الموضوع من حديثنا نريد أن نثبت أن دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى الإعراف بإسرائيل هى دعوة الى المستحيل ، ليس المستحيل ماديا ، أى استحالة أن يصدر اعتراف من المنظمة

باسرائيل ، ولكن المستحيل قانونيا ، بمعنى ان القانون الدولي لا يطلب ولا يعتد ولا يرتب أثرا على أى اعتراف باسرائيل يصدر من منظمة التحرير الفلسطينية .

والأمر واضح .

إذا كان أول شروط الإعراف أن يصدر من دولة كاملة السيادة ، فإن منظمة التحرير الفلسطينية ليست حكومة فى دولة فلسطينية لأن الدولة الفلسطينية مفتقدة ، فلسطين الأقليم تحتله الصهيونية وتقيم عليه مؤسسة تسميها اسرائيل . والشعب الفلسطينى بعضه لايقم على اقليمه والبعض الآخر يقيم على الاقليم المحتل تحت سلطة الصهاينة ، ومنظمة التحرير الفلسطينية لاتمارس أية سلطة تشريعية أو تنفيذية أو قضائية أو إدارية فى فلسطين المحتلة لا باسمها ولا باسم الشعب الفلسطينى . إذا ، فالشخص الدولى الفلسطينى ، أى الدولة الفلسطينية ، التى يمكن أن تطالب بالاعتراف ، ويمكن أن يعتد بالاعتراف الصادر منها ، ويمكن أن يرتب القانون الدولى على اعترافها آثارا ، غير موجودة . وبالتالي يتخلف أول شروط الاعتراف . ثم أن الاعتراف الذى يصدر من منظمة التحرير الفلسطينية لاينشئ الدولة الفلسطينية ولايقرها ، إذ أن الاعتراف قد ينشئ أو يقرر الدولة المعترف بها ، على خلاف بين مدارس فقه القانون

- ١٦ -

الدولى حول ما إذا كان الإعراف منشئا أو مقررًا ، ولكنه بالإجماع لاينشئ للمعترف دولة ولايقر للمعترف بدولة ، وستبقى دولة فلسطين مفتقدة سواء اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل أم لم تعترف .

ولما كانت الآثار التى تترتب على الإعراف هى نشء علاقات بين الدولتين المعترفة والمعترف بها ، فإن هذه الآثار لن تتحقق لأن الطرف الفلسطينى غير قائم ، هذا من ناحية ..

ومن ناحية أخرى فإن منظمة التحرير الفلسطينية ممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني فيما عهد به الشعب الفلسطيني اليها من مهام ، وقد كانت وماتزال قيادة الشعب لتحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني واسترداد الأرض المغتصبة الى شعبها ، في حدود هذا التفويض يصح القول بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني . ويعتد بما يصدر عنها من أعمال أو تصرفات أو اتفاقيات ، ويبطل بطلانا مطلقا كل عمل أو تصرف أو اتفاق يتعلق بواقع أو مستقبل حركة تحرير فلسطين يستبعد منظمة التحرير الفلسطينية أو لاتوافق عليه مادام داخل في نطاق تمثيلها للشعب الفلسطيني .

أما ما يتجاوز حدود التفويض أو يناقض مضمونه فلا صفة لمنظمة التحرير الفلسطينية في إجرائه أو الموافقة عليه .. وإن أجرته أو وافقت عليه فإنها لاتمثل فيه الشعب الفلسطيني على وطنه فلسطين ، تلك السيادة التي يمثل استردادها جوهر معركة التحرير ، فإنه يحق للشعب الفلسطيني أن يجيز ما أجرت المنظمة أو وافقت عليه باسمه ، أما إذا كان التجاوز تخليا عن مهمة التحرير أو تنازلا أو تصالحا أو تفريقا أو استسلاما أو تسليما ينتقص من سيادة الشعب الفلسطيني على أرضه فإن منظمة التحرير الفلسطينية لاتمثل فيه الشعب الفلسطيني على أى وجه بل تخون به الأمانة الى أوكلت اليها ، والخيانة غير مشروعة فلا تحدث أثرا في حق الأصيل . وفي كل الحالات لاتملك منظمة التحرير الفلسطينية أكثر مايملك الشعب الفلسطيني كما أن الوكيل لا يملك أكثر مما يملك الأصيل .. مستحيل إذا على منظمة التحرير الفلسطينية أن تعترف بإسرائيل لأنها غير

- ١٧ -

مفوضة في الإعراف ولأن الإعراف تنازل عن هدف التحرير ، ولأنها لاتملك أكثر مما يملك الشعب الفلسطيني الذي لا يستطيع بذاته أن يعترف بدولة طالما افتقد هو ذاته دولته .

مرة أخرى نقول أننا نعنى بالاستحالة القانونية ، أى أن اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية ليس مطلوبا وأن صدر فإن القانون

الدولى لايعتد به ولايرتب عليه أثرا ، وإن كان صدوره ستترب عليه آثار أخرى لأنه حينئذ لا يكون اعترافا ولكن شيئا آخر يخفى وراء كلمة الإعراف كما سنرى .

١٣- حديثنا هذا عن شروط وأحكام الإعراف والقانون الدولى موجه الى الذين يعترفون بأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى . أما الذين ينكرون شرعية وجودها كمنظمة تحرير ويعتبرونها منظمة إرهابية . أو الذين يستبعدونها ويستبعدون الشعب الفلسطينى جملة من ان يكون صاحب قضية ، ويفضلون التعامل مع " سكان الضفة وغزة " كما يقولون أو " يهودا والسامرة " كما يقول الصهاينة ، فهؤلاء جميعا محرومون من أى حق قانونى أو سياسى أو اخلاقى فى مخاطبة منظمة التحرير الفلسطينية أو دعوتها الى الإعراف أو عدم الاعتراف .

على رأس الذين ينكرون شرعية وجودها كمنظمة تحرير ويعتبرونها منظمة إرهابية الولايات المتحدة الأمريكية . ومن الذين لاينكرون وجودها ولكن ينكرون شرعية تمثيلها للشعب الفلسطينى بعض الدول الكبرى فى أوروبا الغربية . وعلى رأس الذين يستبعدونها الذين أبرموا اتفاقيات كامب ديفيد والتزموا بها والذين وافقوا عليها وأيدوا ابرامها .

ليس لأى من هؤلاء أن يدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى الاعتراف بإسرائيل قبل أن يصحح هو موقفه فيعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطينى ، فإن فعل فإن ألف علامة استفهام تقوم أمام دعوته متسائلة عن البواعث التى تحمله على أن يطلب من منظمة لايعترف بشرعية تمثيلها للشعب الفلسطينى أن تعترف بشرعية المؤسسة الصهيونية ، إنه تناقض لايد من حله لمن يريد بدعوته أن يكون طرفا فى الحوار ولمن يريد لدعوته أن تكون محل حوار .

ونحن لانستطيع أن نخفى أننا نكتب هذا وفى ذهننا مثل صارخ للتناقض من موقف حكومة مصر العربية ، فلسنا نغفل عما نتمنى أن يكون دلالة إيجابية للدعوة المتكررة ، الحارة ، المتوترة فى بعض الأوقات التى تصدر من القاهرة الى منظمة التحرير الفلسطينية بقصد إقناعها بجدوى الإعراف المبكر أو المتزامن بإسرائيل . ولقد عرفنا من قبل أن حكومة مصر العربية أبرمت اتفاقيات كامب ديفيد واعترفت بإسرائيل ووجهت الدعوة بالاعتراف الى ثلاث دول عربية حصرا فى صلب الاتفاقيات ذاتها هى : الأردن ولبنان وسوريا ، ثم استبعدت الشعب الفلسطينى - غير سكان الضفة الغربية وغزة - واستبعدت منظمة التحرير الفلسطينية من أى دور تمثيلى أو تفاوضى أو تقريرى له علاقة بقضية فلسطين ، انطلاقا من اتفاقيات كامب ديفيد التى لاتزال تقيد إرادة الحكومة المصرية نعتقد ، أو نحب أن نعتقد ، أن مخاطبة حكومة مصر منظمة التحرير الفلسطينية ولو لدعوتها الى الاعتراف بإسرائيل هى خطوة منطلقة من أسر هذه الاتفاقيات المشئومة . إنها عودة الى الاعتراف ولو ضمنا ، بأن منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا للشعب الفلسطينى تملك صلاحية التعبير عنه ولو كان التعبير اعترافا . لو صح مانحب أن نعتقد فإنه خطوة ايجابية محدودة فى قضية محدودة فى زمن محدود ولكنها خطوة على أى حال الى المواقع العربية التى جرمتها اتفاقيات كامب ديفيد ، ان هذا قد يؤكد أمل الذين يرون ويعملون على الخروج بمصر نهائيا من أسر تلك الاتفاقيات التى فرضت على الشعب العربى فى مصر فرضا . ولكنه قد يؤكد النقيض تماما قد يؤكد أمل الذين يرون ويعملون على استغلال ثقل تأثير مصر والوطن العربى لجذب مزيد من العرب الى دائرة الالتزام باتفاقيات كامب ديفيد حتى من استبعدوا بها وجردوا من هويتهم الفلسطينية .

التناقض أوضح ما يحتاج الى إيضاح . ولو لم تكن على الحياد لأمن قضية فلسطين ، ولا من الواقع فى مصر العربية ، فإننا ندعو مصر العربية الى أن تحل هذا التناقض حتى لاتكون الدعوة التى تصدر منها محل شك وريبة . وحلها الجذرى هو الخروج النهائى من أسر اتفاقيات

كامب ديفيد واتفاقية ٢٦ مارس ١٩٧٩ والعودة الى مركز قيادتها
العربي في معارك التحرير من الغزو الصهيوني ، إنه مركز مايزال
شاغرا ينتظرها . فإن كانت حكومتها

- ١٩ -

لاتسمح الآن ، فلتكف من الآن ، والى ان تستطيع ، عن التدخل فى
القضية الفلسطينية بتوجيه دعوة الى الاعتراف باسرائيل ، كما كفت
عن الاستمرار فى الاعتراف فى مهزلة التفاوض مع اسرائيل حول ما
أسموه الحكم الذاتى لشعب فلسطين فى غيبة الشعب الفلسطينى
وممثليه الشرعيين .

١٤- على أى حال فإن آلاف علامات الاستفهام تتزاحم لتأخذ أماكنها
المشروعة أمام كل دعوة موجهة الى منظمة التحرير الفلسطينية
للاعتراف باسرائيل . ذلك لأننا لانشك لحظة فى أن كل الذين يدعونها
الى هذا الاعتراف يعرفون معرفة اليقين أن الاعتراف بمفهومه
القانونى والدولى غير مطلوب منها ولايعتد به أن صدر ولايحدث أثرا .
وبالتالى فإننا على يقين من أنهم جميعا يستعملون كلمة " الإعتراف "
ويريدون به أن يحقق أثارا أخرى غير تلك الآثار التى نظمها القانون
الدولى ، أى أنه لابد أن يكون ثمة معنى آخر وآثارا أخرى للاعتراف
الذى يدعون اليه . وربما تتعدد المعانى وتتنوع الآثار من داع الى آخر
ولقد قلنا من قبل أن كلمة الاعتراف مضللة فليس من المستبعد أن
تضلل صاحبها ، لهذا علينا أن نكون مستعدين لاكتشاف اختلاف
المواقع التى تصدر منها الدعوة الى الاعتراف وأن نبحت عما وراءها
فى كل موقع على حدة . فقد نجدها صادرة من موقع عداء ، أو من
موقع رجاء ، أو حتى من موقع رياء .

وحيث تكون الدعوة صادرة من موقع عربى ، دولة أو حزب أو
منظمة أو فرد ، فمن الفطنة أن تكون محل بحث قبل أن تكون موضع
محاكمة ، فلعن كثيرا من العرب يدعون منظمة التحرير الفلسطينية الى
الاعتراف باسرائيل من موقع الرجاء . حينئذ علينا أن نعرف ما الذى
يرجونه من وراء هذه الدعوة ؟ وهل يرجونه لأنفسهم أو لغيرهم ام
للشعب العربى الفلسطينى ، أو على الأصح ما الذى يرجوه كل واحد

على حدة ، ومن المفيد جدا لقضية تحرير فلسطين أن يكشف كل عربي يدعو منظمة التحرير الفلسطينية عن حقيقة ما يرجوه من وراء الاعتراف ، بدون خجل وبدون احتيال وبدون " فهلوة " أيضا ، ومن فهلوة التي تحتقر العقل العربي الدعوة الى أن يكون الاعتراف ضمنيا وليس صريحا كما جاء في بعض المبادرات كما يسمونها . لأنه لا فارق في الشروط ولا في الآثار بين الاعتراف الضمني والاعتراف الصريح في حكم القانون الدولي وإنما الفارق في صيغة التعبير عن إرادة الاعتراف .

- ٢٠ -

هذا يعني أننا نكون مطالبين بافتراض حسن النية . والواقع أننا في بعض الحالات نكاد نكون مكرهين على افتراض حسن النية حفاظا على وحدة الثورة الفلسطينية ، فعندما تصدر قيادة احدى فصائل الثورة الفلسطينية الممثلة في اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي يحتل قائدها مركزا في اللجنة التنفيذية ، تصدر بيانا صارخا تقبل فيه الاعتراف بإسرائيل وتدعو اليه رفاق السلاح تحتاج الى أكبر قدر من شجاعة الصبر لنتذكر أنه لم يأت بعد الوقت الملائم لحديث عن الثورة من الداخل . وأن المرحلة الراهنة هي مرحلة التشبث بمواقف الدفاع عن الثورة ككل ضد ما يأتي من خارجها لينال منها أو يحبط أهدافها التي التزمت أما الشعب العربي الفلسطيني بتحقيقها فأسلمها من أجل التحرير قيادته ، وقدم دماءه الغالية ثمنا لم يقبض مقابله بعد ، أما حين يأتي الوقت الملائم فسيكون لكل حدث حديث .

١٥- إذا افترضنا حسن النية راضين أو كارهين فإن الذي يغلب على الظن أن يكون الباعث على الدعوة الى الاعتراف بإسرائيل تقييم الاعتراف بأنه خطوة تكتيكية ومرحلية تقتضيها الظروف العربية أو الدولية الراهنة ، ولا تضر بهدف تحرير فلسطين الاستراتيجي ، إذا صح هذا التقييم فإن المثاليين الفاشلين وحدهم هم الذين يحرمون الثورة من المقدرة على اتخاذ المواقف التكتيكية التي تفرضها ظروف المرحلة مادامت لا تتناقض ولا تضر بالهدف الاستراتيجي للثورة . هم الذين ينكرون على الثورة حقها " المطلق " وأن تستفيد في تحديد خطواتها التكتيكية بالمقولة العلمية : أن أول شروط المقدرة على تغير الواقع هو

التعامل معه كما هو . وبالمقولة العلمية بأنه لايجوز التعامل مع الواقع الجزئي وعزله عن الواقع الكلى ، وبالمقولة العلمية بأن الواقع متحرك أبدا متأثر بغيره مؤثر فيه أبدا متغير أبدا وبالمقولة الحكيمة بأن السياسة هي فن تحقيق الممكن في زمانه ومكانه .. الخ . كل هذا مسلم.

ولكن كيف يمكن التأكد من أن " الإعراف " التكتيكي لن يضر الهدف الاستراتيجي ؟.

- ٢١ -

بمعرفة ماهو الهدف الاستراتيجي للثورة الفلسطينية .. أليس كذلك ؟.. بلى .

المبدأ والاستراتيجية والتكتيك

١٦- ليس لهذه الكلمات المهيبة : المبدأ والاستراتيجية والتكتيك أى معنى إلا إذا كانت منسوبة الى واقع معين ، ومن حسن الحظ أن الواقع المعين فى خصوصية فلسطين ليس محل خلاف بين العرب ، فلسطين أرض مغتصبة من الشعب العربى ، فلسطين ليست محتلة أرضا وبشرا كما كان الوضع قبل عام ١٩٤٨ ، بل فلسطين الأرض اغتصبت واخليت من الشعب العربى الإا قليل واستوطنها الصهاينة الغاصبون وأقاموا عليها دولة أسموها إسرائيل .. إن واقعها قريب الشبه بالواقع الأسترالى والأمريكى بعد اباداة البشر الإا قليل وإقامة مجتمعات ودول من المهاجرين عليها . ينحصر الفرق فى أن الشعب العربى لم يبد ولكنه يحيط بأرضه المغتصبة أحاطة كثيفة يريد استردادها .

هذا هو الواقع من وجهة نظر عربية ولاختلف الرؤية الصهيونية لهذا الواقع عن الرؤية العربية الا فى التقييم . فلسطين أرض اغتصبتها العرب من الشعب اليهود منذ الفتح الإسلامى ، فلسطين لم تكن محتلة أرضا وبشرا قبل ١٩٤٨ ، بل فلسطين أرض اغتصبت منذ أربعة عشر قرنا واخليت من الشعب اليهودى الإا قليل واستوطنها العرب الغاصبون وضموها الى دولة أسموها دولة الخلافة سلمتها للإنجليز . إن واقعها كان قريب الشبه بالواقع الأسترالى والأمريكى بعد إباداة البشر وإقامة

مجتمعات ودول من المهاجرين إليها . ينحصر الفرق فى أن الشعب اليهودى لم يبد ولكنه تشتت فى أقطار الأرض الى أن قادتته الحركة الصهيونية الى فلسطين لاستردادها خالية من البشر فاستردها وأقام دولته عليها ، وأسماها إسرائيل .

لاخلاف إذن أن الصراع العربى الصهيونى يدور حول أرض فلسطين لمن تكون . طبيعى أن واقعا متجددا أضيف إلى هذا الواقع غير المختلف عليه نتيجة الصراع ذاته ، فانتصار الصهيونية وإخلاء الأرض أسفر عن طرد أغلبية الشعب العربى من فلسطين فأقاموا حيث أقاموا ويقيمون خارجها وشكلوا بذلك واقعا إنسانيا واقتصاديا واجتماعيا مضافا الى الواقع الأصيل .

- ٢٢ -

وانتصار الصهاينة فى إقامة دولة أسفر عن إعتراف كثير من الدول بها وعقد تحالفات مع دول كبرى وغير كبرى تساندها كل بما تستطيع ، وانتصار الصهيونية عسكريا عام ١٩٥٦ أسفر عن احتلال سيناء . وانتصار العرب سياسيا عام ١٩٥٦ أسفر عن استعادة سيناء وفقد المياه الإقليمية فى خليج العقبة ، وانتصار الصهيونية فى عام ١٩٦٧ أسفر عن اكمال اغتصاب فلسطين (الضفة وغزة) وإغتصاب المرتفعات السورية (الجولان) واحتلال سيناء وانتصار العرب فى ١٩٧٣ أسفر عن استرداد سيناء ماعدا طابا أرضا والانتقاص من السيادة العربية عليها واعتراف حكومة مصر بإسرائيل وهزيمة العرب عام ١٩٨٢ أسفرت عن احتلال جنوب لبنان .. الخ .

كل هذا حدث وغيره كثير من الأحداث والمتغيرات العسكرية والسياسية والفكرية التى تراكمت على المستويات الفردية والجماعية والدولية ، فلسطينيا وعربيا ودوليا .. نتيجة تطورات الصراع وتطورات - الظروف التى يدور فيها على مدى مايقرب من نصف قرن .

والمطلوب أن نعرف ماهو استراتيجى وماهو تكتيكى من بين هذا الركام...

١٧- المبدأ أو (النظرية) التي ينطلق منها الصراع هو الذى يحدد الهدف الاستراتيجى ، تعنى الهدف النهائى للصراع . ويتحدد المبدأ الذى يدور حوله الصراع كما هو لاختلاف عليه بين طرفى الصراع : أرض فلسطين لمن تكون ، للعرب أم للصهاينة ؟ الذين يجيبون أو الذين أجابوا على هذا السؤال المبدئى بأن أرض فلسطين للصهاينة يخرجون من حلبة الصراع أو الحوار بدون حديث عن الاستراتيجية أو التكتيك أو يدخلون حلبته ليقوموا بمهمات وأدوار تكتيكية فى خدمة الاستراتيجية والصهيونية . هذا بصرف النظر عن أجناسهم أو أديانهم وحتى لو كانوا عربا . أما الذين يجيبون أو الذين أجابوا بأن أرض فلسطين للعرب فأنهم يخرجون من الصراع أو الحوار بدون حاجة من الحديث عن الاستراتيجية أو التكتيك أو يدخلون حلبته فيكون من حقهم المشاركة فى الحوار حول الهدف الاستراتيجى للنضال العربى وعلاقة الإعراف التكتيكي بهذا الهدف .

- ٢٣ -

نريد أن نقول بأكبر قدر من الوضوح أن معرفة ما اذا كان الاعتراف باسرائيل خطوة تكتيكية لا تضر بالهدف الاستراتيجى لمنظمة التحرير الفلسطينية لايمكن أن تتم الا فى نطاق مبدأ ، أو نظرية ، أن أرض فلسطين من حق الشعب العربى .

لماذا نقول هذا ونركز عليه ؟ لأن مع تراكم المتغيرات التى تحولت الى واقع خلال الصراع العربى الصهيونى تحولت كثيرا من الأهداف التكتيكية بالنسبة الى هدف تحرير فلسطين الى أهداف استراتيجية بالنسبة الى أصحابها . تحرير جنوب لبنان مثلا هدف استراتيجى بالنسبة الى الكتائبين وهو هدف تكتيكي بالنسبة الى تحرير فلسطين ، تحرير المرتفعات السورية وسيناء هدفان استراتيجيان بالنسبة الى الأقليميين السوريين والمصريين وهدفان تكتيكيان بالنسبة الى هدف تحرير فلسطين . كذلك استرداد غزة والضفة الغربية هدف استراتيجى بالنسبة الى الإقليميين الأردنيين ولكنه هدف تكتيكي بالنسبة الى هدف استرداد فلسطين للشعب العربى الذى قامت الثورة الفلسطينية من أجله .

ولعله مما يوضح هذا الموقف " حركة تحرير فلسطين " (فتح)
التي تعتبر القوة القائدة الرئيسية فى منطقة التحرير الفلسطينية
عسكريا وسياسيا ، هذه المنظمة أنشئت ثم بدأت نشاطها الثورى فى
أول يناير ١٩٦٥ . فى ذلك الوقت لم يكن قد تم احتلال جنوب لبنان أو
المرتفعات السورية أو الضفة الغربية أو غزة أو سيناء . نشأت وبدأت
الثورة من أجل هدف استراتيجى محدد : استرداد أرض فلسطين التي
اغتصبت عام ١٩٤٨ . على مدى الصراع وساحته تراجعت قواتها
الرئيسية ومركز قيادتها من الضفة وغزة الى الأردن بعد ١٩٦٧ ثم من
الأردن الى لبنان بعد ١٩٧٠ ، من لبنان الى حيث هى الآن عام ١٩٨٢
، كل هذه التراجعات بالنسبة الى هدفها الاستراتيجى تراجعات تكتيكية
لأنه لم يحدث أبدا أن استردت فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ثم عادت
فسلمتها الى الصهاينة ليعيدوا بناء دولة اسرائيل عليها ، كما لم يحدث
أن كفت عن النضال منتصرة أو منهزمة متقدمة أو متراجعة من
١٩٦٥ . وينطبق هذا بشكل عام على منظمة التحرير الفلسطينية ، كان
، وما يزال هدفها الاستراتيجى استرداد كامل أرض فلسطين .

- ٢٤ -

والمفروض ، ولو من قبيل الأمانة مع النفس أن الذين يوجهون الى
منظمة التحرير الفلسطينية الدعوة الى الاعتراف باسرائيل " معتقدين
" أن الاعتراف خطوة تكتيكية لاتضر بالهدف الاستراتيجى أن يكون
إعتقادهم هذا (صح أو لم يصح) قائما على نسبة الإعراف الى الهدف
الاستراتيجى لمنظمة التحرير الفلسطينية ، أى استرداده كامل أرض
فلسطين من قبضة الصهيونية الغاصبة . أما إذا كانوا يدعونها الى
الاعتراف كخطوة تكتيكية الى مادون هذا من أهداف تعتبر بالنسبة
إليهم استراتيجية مثل الجلاء عن جنوب لبنان ، أو تحرير المرتفعات
السورية ، أو تحرير الضفة الغربية وغزة أو ما هو دون ذلك من أهداف
يعتبرونها هم أهدافا تكتيكية حتى بالنسبة الى أهدافهم الاستراتيجية ،
مثل كسب الرأي العام العالمى ، أو وضع العالم أمام مسؤولياته ، أو
الحوار مع أمريكا ، أو السلام فى الشرق الأوسط .. الخ ، فليس مطلوباً
منهم إلا " الإعراف " بأنهم يريدون لمنظمة التحرير الفلسطينية أن
تعقد صفقة تباع فيها هدفها الاستراتيجى فى مقابل هدف تكتيكي

بالنسبة إليها حتى ولو كان هدفا استراتيجيا بالنسبة الى أصحاب الدعوة . أو ماهو أدهى من هذا ، أن تبيع هدفها الاستراتيجى مقابل هدف تكتيكي بالنسبة إليهم .

إذا لم يعترفوا بهذا فإنها " جريمة احتيال " بالغة الغباء ، إذ الأغبياء وحدهم هم الذين يتصورون أن شعبا له مثل وعى وخبرة وقيادة الشعب العربى الفلسطينى سيبيع جزءا من وطنه مقابل جزء منه ، أو مقابل - وهذا هو الاحتيال - أن يحققوا أهدافهم الخاصة .

١٨- بعد استبعاد " المحتالين " من دائرة الحوار لانستبعد أن يكون من أصحاب دعوة منظمة التحرير الفلسطينية من ضللته الكلمات فاعتقد صادقا مع نفسه أن اعتراف المنظمة باسرائيل لا يضر بهدفها الاستراتيجى . هؤلاء وحدهم هم الذين قد يكونوا من حقهم دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الى الاعتراف باسرائيل ، ويستحقون الحوار معهم حول ما يعتقدونه من أن هذا الاعتراف لا يضر بالهدف الاستراتيجى . مصدر استحقاقهم أنهم ينطلقون من مبدأ أن أرض فلسطين لشعبها العربى وأن الهدف الاستراتيجى هو استردادها كاملة للشعب العربى .

- ٢٥ -

إلى هؤلاء نقول : عندما يتحدد استرداد كامل التراب العربى فى فلسطين هدفا استراتيجيا يجب أن تسقط المثالية الفاشلة التى توهم ذاتها بأن ما تريد أن تحققه فى الواقع سيتحقق لمجرد إنها تريد أن تحققه . فهنا ، بعد تحديد الهدف الاستراتيجى ، يأتى دور المواقف والخطوات والمراحل التكتيكية ، وليس للمواقف أو الخطوات أو المراحل التكتيكية صيغة معينة سلفا ، أو مضمون محدد من قبل ، تلتزم به الحركة النضالية مقدما وهى فى طريقها الى هدفها الاستراتيجى ، التقدم قد يساوى التوقف قد يساوى التراجع قد يساوى الالتفاف فى مدى ضرورته لتحقيق الهدف الاستراتيجى الكلمة قد تساوى البندقية ، والمعارك السياسية قد تكون أكثر لزوما من المعارك العسكرية فى سباق النضال من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجى ، نعى أنه لايمكن حصر المواقف والخطوات والمراحل التكتيكية التى تترجم الخطوط اللا

ستراتيجية . تلك الخطوط التي تربط بين " المبدأ " وبين " الهدف الاستراتيجي " ذلك لأنه على المستوى التكتيكي تدور المعارك الفعلية ، الفكرية والحركية ، السلمية والعنيفة ، السياسية والثورية ، المحلية والدولية ، ويلتحم المتصارعون ويتعدد الأطراف بحيث لا يستطيع أى طرف أن ينفرد باتخاذ موقف أو خطوة تكتيكية غير متأثر بالموقف أو المواقف التكتيكية المضادة أو حتى الحليفة، ولا أن يستعمل سلاحا فكريا أو دعائيا أو سياسيا أو قتاليا بعيد عن قياس مضائه الى مضاء الأسلحة التي يواجهها . باختصار يمثل المستوى التكتيكي المبدأ المرن للمناورة وفيه تتجلى كفاءة المناضلين والقادة ، لا فى القتال فقط ، ولكن أيضا فى المهارة فى مواجهة المواقف الطارئة ، والأفخاخ المنصوبة ، والخدع المموهة ثم الملائمة بين تحركاتهم وتحركات القوى المضادة ، وتتوقف تلك المهارة الى حد كبير على الإدراك الثابت بأن الهزيمة أو النصر لا يتم قط ، ولم يتم قط على مدى تاريخ الشعوب ، فى معركة تكتيكية أو مرحلية . إنما تتم هزيمة طرف حين يتنازل عن هدفه الاستراتيجي أى يستسلم .

وفى تاريخ فلسطين بالذات دليل على مانقول . فمن قبل هزمت ثورة ١٩٢٠ و ١٩٢١ و ١٩٣٥ و ١٩٣٩ ، وفى ١٩٤٨ و ١٩٦٧ تخلى الكثيرون من الشعب العربى فى فلسطين عن الأرض وغادروها منهزمين ولكنهم لم يلبثوا

- ٢٦ -

أن تحولوا خارج الأرض الى منظمات مقاتلة بدأت آخر ثوراتها من اجل تحقيق الهدف الاستراتيجي فثبت أن كل الهزائم السابقة كانت هزائم تكتيكية لم تحل دون العودة الى النضال من جديد .

وفى تاريخ الصراع العربى الصهيونى أدلة كثيرة . لقد هزمت الدول العربية عام ١٩٤٨ و عام ١٩٥٦ و عام ١٩٦٧ . وهزم الصهاينة عسكريا عام ١٩٧٣ . وكانت كلها معارك تكتيكية . كانت كل معركة تؤكد السمة التكتيكية للهزيمة فى المعركة التى قبلها الى أن أعلنت حكومة مصر العربية أن معركة ١٩٧٣ هى آخر الحروف وكان لا بد لها وقد تنازلت عن خيار الحرب أن تقبل ما تقدم لها بشروطه . فكانت

اتفاقية ٢٦ مارس ١٩٧٩ هزيمة للسادات وحكومته لم يقبلها الشعب العربي في مصر قط .

وفي تاريخ الصراع العالمي . تخلى الروس عن الأرض وحرقوها ودمروها متراجعين أما نابليون وأمام هتلر ، وتراجعت قوى الحلفاء حتى انحصرت في الجزيرة البريطانية ، وكانت كلها هزائم وتراجعات ومعارك تكتيكية لم تؤثر في انتصار الهدف الاستراتيجي ، لروسيا ضد نابليون وللحلفاء ضد النازية .

إذا ،

فلا حصر لما تستطيع أن تتخذه منظمة التحرير الفلسطينية من مواقف أو خطوات في سبيل الحفاظ أو الإقتراب أو تحقيق هدفها الاستراتيجي ، بل إنها تستطيع أن تتوقف عن النضال أو تحل نفسها معلنة إنتهاء تمثيلها للشعب العربي الفلسطيني وعجزها عن الأستمرار في الكفاح من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجي تاركة له حرية اختيار من يمثلوه أو يقودوه في مسيرته المناضلة الى أرضه وسيكون من السهل اعتبار كل هذا خطوات تكتيكية ...

إلا الاعتراف بإسرائيل ، اعترافا صريحا أو ضمنيا ، يستحيل أن يكون خطوة تكتيكية .

لماذا ؟

١٩- لأن الاعتراف بإسرائيل هو إقرار ملزم بأن دولة اسرائيل بكل

- ٢٧ -

عناصرها (الشعب والأرض والسيادة) دولة مشروعة . وعلى وجه خاص إقرار ملزم للمعترف بأن أرض فلسطين من حق الشعب اليهودي . الإعتراف هنا ليس إقرارا بالهزيمة على مستوى تكتيكي ، ولاحق

إقرار بالهزيمة على مستوى استراتيجي ، لا ولا هو اعتراف بالأمر الواقع ، بل هو حسم للصراع مع الصهيونية على مستوى المبدأ ذاته .

وأن إدراك هذا لعلى أكبر قدر من الأهمية ، ذلك لأن الاعتراف بأن إسرائيل الصهيونية المدعومة بالولايات المتحدة الأمريكية غير قابلة للهزيمة الى الحد الذي يمكن فيه تصفيتا كدولة واسترداد أرض فلسطين للشعب العربي في هذه المرحلة التاريخية ، أي الاعتراف بالأمر الواقع ، والكف عن محاولة تحرير فلسطين ، يعتبر تخليا عن الهدف الاستراتيجي. ولكنه لا يحول دون العودة الى محاولة تحقيقه في مرحلة تاريخية اخرى تكون الظروف فيها مواتية أو مشجعة ، مثال هذا اتفاقيات الهدنة التي أبرمت في رودس عام ١٩٤٨ .

أما الإقرار بدولة اسرائيل فهو إقرار ملزم " بالمبدأ " الصهيوني الذي وضعت على أساسه الاستراتيجية الصهيونية منذ قرن والذي ينفذه الصهاينة على مراحل تكتيكية . هذا المبدأ الذي تقوم على أساسه دولة الصهاينة كدستور وتستغنى به عن أي دستور هو : أن فلسطين هي أرض اسرائيل . فلا شبهة في أن الاعتراف بدولة اسرائيل هو اعتراف بأن فلسطين هي أرض اسرائيل لاحيلة لأحد في هذا ، ولا يجدى أحدا أن يحاول المقارنة أو القياس في أي حالة اعتراف يعرفها لأنه لتوجد في العالم المعاصر حالة إغتصاب مشابهة لإغتصاب الأرض العربية . لا يوجد صراع ضد استعمار استيطاني إلا في فلسطين ، فلا يجوز القياس في شأن الاعتراف باسرائيل على الاعتراف بأية دولة أخرى .

في جملة واحدة أن الاعتراف بدولة اسرائيل هو اعتراف بشرعية "الصهيونية " فهو موقف صهيوني فإذا تذكرنا أن الصهيونية ليست هي اليهودية بل هي الحركة السياسية التي تلتزم بالمبدأ الذي يقول بأن للشعب اليهودي حقا تاريخيا مشروعا في أرض فلسطين ، وأن بعض اليهود لا

يدينون بهذا المبدأ فهم ليسوا صهاينة ولو كانوا يهودا ، وأن من غير اليهود كثيرين يقرون هذا المبدأ فهم صهاينة ولم يكونوا يهودا ، ندرك بوضوح ، ونتمنى أن يدرك أصحاب الدعوة الى الاعتراف بإسرائيل بأن اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بدولة اسرائيل اعترافا صريحا أو إعترافا ضمنيا يحولها فورا من منظمة تحرير فلسطينية الى منظمة يهودية ، إذ بمجرد أن يصدر هذا الاعتراف ، صريحا أو ضمنيا تصبح منظمة التحرير الفلسطينية مسلمة بأن أرض فلسطين المقامة عليها دولة اسرائيل هي ملك للشعب اليهودي . هي أرض اسرائيل .

فهل يمكن أن يعتبر هذا الاعتراف " خطوة تكتيكية " لاتضر بهدف التحرير الاستراتيجي ؟ لانعتقد هذا إذ ليس بعد الاعتراف تكتيك آخر . ولكنه يمكن أن يعتبر خطوة تكتيكية بالنسبة الى الهدف الاستراتيجي الصهيوني . ذلك لأن أرض اسرائيل ، ولينتبه جيدا الذين يلعبون بنار الاعتراف الآن ، التي يعتبر استردادها للشعب اليهودي هدفا استراتيجيا للحركة الصهيونية أوسع بكثير من فلسطين . من الفرات الى النيل كما يقولون هم وكما نعلم نحن . وبمجرد أن تكسب الصهيونية المعركة المبدئية ضد العرب ، بمجرد أن يقر لها بمبدأ الحق التاريخي فى أرض فلسطين ستنقل الصهيونية ، مدعمة بهذا الاعتراف ، الى ميدان المعارك من أجل إكمال استرداد أرض اسرائيل حتى لايبقى الحق المعترف به منقوصا ...

وأخيرا ، فلقد قلنا من قبل أن الاعتراف مصطلح من مصطلحات القانون الدولى ، لا يصدر إلا من دولة ولا ينصب إلا على دولة ، ورأينا أن هذا الاعتراف مستحيل قانونا أن يطلب أو يعتد به إذا صدر من منظمة التحرير الفلسطينية ، ماهو إذا المفهوم الذى يختفى تحت كلمة " الاعتراف " إذا صدر من منظمة التحرير الفلسطينية ؟... إن لم يكن الخيانة فهو الاستسلام . إن الدعوة التى تطوف بالعالم اليوم تدعو منظمة التحرير الفلسطينية الى الاعتراف باسرائيل هي اذن دعوة لها

الى الاستسلام او الخيانة وهنا لن تستطيع أن تضلل كلمة الاعتراف
أحدا .

المقابل :

٢٠- ماهو المعروض على منظمة التحرير الفلسطينية مقابل
اعترافها

- ٢٩ -

بدولة اسرائيل ؟ لايكاد يعثر الباحث عن جواب لهذا السؤال على شئ
محدد . فالواقع ماهو معروض على المنظمة هو ما يعتبره أصحابه
مكاسب دعائية أو سياسية أو إنشائية . من المكاسب الإنشائية أن
المنظمة بهذا الاعتراف . ستضع العالم أمام مسئوليته ، أى عالم ؟ فى
العالم دول وشعوب لاتقف موقفا لا من اسرائيل ولا من منظمة التحرير
الفلسطينية . وأية مسئولية ؟ إن أية مسئولية لابد أن تكون ذات
مضمون ، نعى ما الذى يعتبر العالم مسئولا عن تحقيقه إذا ما اعترفت
منظمة التحرير الفلسطينية بإسرائيل ؟ وإذا أمكن تحديد هذا المضمون
فما هى القوة التى ستلزم العالم بالوفاء بهذه المسئولية ؟ وإذا وجدت
هذه القوة فما هو الجزاء الذى ستوقعه هذه القوة على العالم اذا لم
يوف العالم بمسئولته ؟ لا يوجد جواب ، ولا يمكن أن يوجد جواب ،
على أى من هذه الاسئلة . فالحصيلة جملة إنشائية رنانة التعبير ولكن
أين المضمون ؟.

من المكاسب الدعائية براءة المنظمة من تهمة " الإرهاب " وإثبات
أنها من أنصار السلام والعاملين عليه فى " الشرق الأوسط " وفى
العالم أيضا . إن هذا المقابل يستحق أن نقف عنده ونتأمله . ذلك أولا ،
لأن الحرب ذاتها عملية وحشية . قد تكون فروسية أو بطولة أو خلودا
للقيادة التى يديرونها ولكنها مجزرة وغير إنسانية بالنسبة الى المقاتلين
العاديين من أبناء الشعب وأمهاتهم وزوجاتهم وأخواتهم وإخوتهم
وأبنائهم . وتدير مخرب لحياة الذين يفلتون من الموت ليعيشوا فى
الخرائب الإقتصادية والاجتماعية والنفسية التى تخلفها الحرب . إذا
اضيف الى آثار الحرب أن المقاتلين مشردون ينطلقون من غير قاعدة ،

ويكروون ويفرون فى غير أرضهم ويطاردون من الأعداء والأصدقاء من موقع غير مأمون الى موقع أقل أمنا ، فإننا نكون أمام نموذج غير مسبوق من المعاناة التى عاناها الشعب العربى الفلسطينى . ليس هناك شعب فى الأرض فى حاجة إلى السلام حاجة شعبنا العربى الذى يولد الأطفال فيه ليعدوا للاستشهاد . من هنا فإن هذا الشعب فى غير حاجة الى من يقتعه بضرورة السلام بإضافة سلام الشرق الأوسط أو سلام العالم الى سلامه هو .

هذا أولا ، أما ثانيا فلأن " السلام " هذه الكلمة التى تعبر عن أسمى وأنبى

- ٣٠ -

المعانى قد امتهنت حينما اتخذت غطاء الأبرش أنواع المواقف والمواقع ، فنحن لانسى أن اتفاقية ٢٦ مارس ١٩٧٩ قد أسميت " معاهدة السلام " ، ولا ننسى أيضا أننا حينما حملنا مع أكثر من ١٥٠٠ مواطن وحشرنا فى سجن جديد فى طريق سبتمبر ١٩٨١ فوجئنا بأن الاسم الرسمى لهذا السجن كان " سجن السلام " لهذا لا بد من أن نحذر حينما نستمع الى نداء السلام حتى نعرف ما هو المراد بهذا السلام .

ودليل المعرفة فى أيدينا ، فالسلام يعنى عدم القتال واعمال العنف نهائيا ، نقول نهائيا لأن توقفها مؤقتا هو هدنة أو تربص ، هذا الانعدام النهائى يتحقق فى حالتين ، الأولى عدم اللجوء الى القتال أو العنف أصلا فى محاولة فرض إرادة أحد طرفى النزاع ما على الطرف الآخر واختيار الأسلوب السلمى ، أما إذا بدأ القتال واستعمال العنف لفرض إرادة أحد طرفى النزاع على الطرف الآخر وجاء الرد قتالا عنيفا فقد اسقط المعتدى خيار السلام ، ولن يعود السلام " مؤقتا " إلا مناورة أو هدنة ، ولن يعود السلام نهائيا إلا حينما يحسم النزاع باستسلام أحد المتصارعين . أى أن يكون أحدهما قد استطاع بالقتال والعنف فرض إرادته على الطرف الآخر . حينئذ يسود السلام نهائيا ولا يحول هذا دون العودة الى الأسلوب السلمى ، ولكنه فى هذه الحالة ، أى بعد الاستسلام فى معارك العنف ، يكون الطرف الذى استسلم مجردا من أهم أسباب الانتصار سياسيا وأكثرها حسما فى المعارك السلمية ،

ونعنى به حق العودة الى القتال والمقدرة عليه ، تلك المقدرة التي تتيح للأساليب السياسية فرصتها الحقيقية فى أن تكون مجدية عندما تمارس فى ظل قتال مستمر كما حدث فى ثورة الجزائر وثورة فيتنام .

إذا صح هذا ، وهو عندنا صحيح ، فما هو نوع السلام الذى يراد من منظمة التحرير الفلسطينية أن تثبت اختيارها له بالاعتراف بإسرائيل لتحظى بالبراءة من تهمة " الإرهاب " التي تسندها إليها الإدارة الأمريكية ، ولتسهم به فى سلام الشرق الأوسط ، أو فى السلام العالمى؟.

أنه ليس توقفا عن القتال واستعمال العنف ، الواقع أن هذا مستحيل حتى ولو اختارته المنظمة لأن المجرمين الصهاينة لن يكفوا عن استعمال العنف والقتال ضد الشعب العربى ، ولن تستطيع منظمة التحرير

- ٣١ -

الفلسطينية ولا أية منظمة فى العالم أن تجرد الناس من حق الدفاع عن النفس الذى يكاد يكون حقا غريزيا . وليس هو التوقف المؤقت عن القتال واستعمال العنف لإعطاء الفرصة للأساليب السياسية . فالواقع أن منظمة التحرير الفلسطينية لم تترك أية فرصة للأساليب السياسية بدون أن تنتهزها ، بل وفى أكثر من مرة أعلنت " الهدنة " من جانب واحد فى القتال فى جنوب لبنان فكانت النتيجة غزوا مدمرا لجنوب لبنان وتجريدا للمنظمة من أسلحتها الثقيلة والمتوسطة وطردا لها بالقوة والعنف والقتال المتوحش من قاعدتها فى غرب بيروت . وأعتقد أن المنظمة كانت حتى مذبحه صابرا وشاتيلا على استعداد لقبول هدنة محدودة المدة لتعطى كل دعاة الحل السلمى وكل أذعيائه فرصة تجربة أساليبهم .

لا . المطلوب من منظمة التحرير الفلسطينية أن توقف القتال واستعمال العنف نهائيا . أن تستسلم . ألم تر كيف أن الولايات المتحدة الأمريكية تطلب منها أن تغير نصوص ميثاقها الثورى لتتنازل كتابة وتصديق جماعيا على إسقاط هدف تحرير فلسطين ، ثم هاهى مدعوة

الى الاعتراف الذى عرفنا أنه حسم للصراع على مستوى المبدأ . وبه تصبح أية محاولة عودة الى القتال من جانب منظمة التحرير الفلسطينية أو أى فصيلة منها وافقت على الاعتراف بمحاولة إرهابية مجردة من الحق والشرعية تقف ضدها كل القوى ، حتى التى اعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية .

نعم ، لو اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية " قد " يحتويها السلام ولكن كما تحتوى القبور الجثث ، وليس ثمة سلام أكثر استقرارا من سلام الموتى . نقول " قد " لأن منظمة التحرير الفلسطينية ليست صاحبة الكلمة النهائية فى الخيار بين القتال والاستسلام . وأعتقد أن قادة المنظمة يعرفون تماما أن السلم مع اسرائيل لاينهى القتال والعنف ولا يوقف نزيف الدم بل ينقله الى ساحة أو ساحات أخرى ، وإلأما الذى سيفعله الطلائع الذين ربتهم الثورة وتعددهم للقتال وما الذى ستفعله الكوادر التى رافقت الشهداء فى المعارك الضارية ، لا أحد يستطيع أن يشك جديا فى أن إيقاف القتال والعنف ضد العدو الصهيونى سيؤدى مباشرة الى حرب أهلية فى الشعب العربى الفلسطينى قد تمتد نيرانها فتلهب الوطن العربى كله .

- ٣٢ -

ثم أن السلام فى الشرق الأوسط مستقر والحمد لله الذى لا يحمى على مكروه سواه ، مستقر استسلاما أو مستقر عجزا أو مستقر جبنا .

ثم أن السلام العالمى لا يقوم إلا بتصفية الاعتداء وتجريد المعتدين من المقدرة على استعمال العنف لفرض إرادتهم على محبى السلام ، نعى أن ردع وتصفية قوى العدوان هو أول خطوة الى السلام العالمى . إن هذا العالم المخادع الذى يريد من العرب أن يدفعوا ثمن سلامة أمن أرضهم كان قد أنشأ محكمة دولية عسكرية لمحاكمة من أسماهم مجرمى الحرب من النازيين ، وحاكمهم فى ثورمبيرج وأعدم من أعدم وسجن من سجن (١٩٤٥ - ١٩٤٦) طبقا لقانون أصدره ، تقول الفقرة ٣ من المادة ٦ من ذلك القانون أنه تعتبر جريمة ضد الإنسانية تستحق العقاب الدولى حتى الموت والقتل والتعذيب والاستعباد والتشريد والتصرفات غير الإنسانية التى تقع ضد أى شعب مدنى ،

وقبل أن يمضى عامان على محاكمتهم طبقا لقانونهم كانت القوى الصهيونية تقتل وتعذب وتستبعد وتشرد الشعب العربى من فلسطين فإعترف بها هذا العالم ، الذى ياتى الآن ليطلب من المعتدى عليهم ضحايا الجرائم الدولية الاعتراف " بشرعية " تلك الشرائع ذاتها وتبرئة المجرمين .. من أجل السلام .

ثم هذا العالم المنافق قد اجتمع ممثلوه فى الجمعية العامة للأمم المتحدة وأصدروا اتفاقية دولية يوم ٩ ديسمبر ١٩٤٨ لمنع جرائم إبادة الجنس البشرى والعقاب عليها . وحددوا من بين جرائم إبادة الجنس البشرى المادتين ٢ من الإتفاقية .. " التسبب فى إيقاع أضرار جسدية أو ذهنية جدية فى أفراد مجموعة بشرية أو فرض ظروف معيشة تؤدى بهم الى الدمار كلياً أو جزئياً " صدرت هذه الاتفاقية بينما كانت إبادة الشعب العربى فى فلسطين قائمة على قدم وساق . وكان هو - هذا العالم - يتبارى فى الاعتراف بدولة الصهاينة المجرمين . ويريد العالم أن يعترف الشعب العربى الفلسطينى " بشرعية " إبادته ..

إن كل عربى يقول " نعم " للسلام العالمى حين يقول " لا " للاغتصاب والعدوان ، وألف لا للاعتراف بشرعية اغتصاب أرض فلسطين وتشريد وإبادة شعبها العربى ، وسواء أعجب هذا الموقف المتاجرين بالسلام من المستسلمين أو المخادعين أو المنافقين أم لم يعجبهم ، فإننا نقول ، وسيثبت

- ٣٣ -

التاريخ صحة ما نقول ، أن ثورة الشعب العربى من أجل تحرير فلسطين وتصفية الصهيونية العنصرية هى أول ثورة فى التاريخ تقوم وتقدم ضحاياها من أجل السلام العالمى . وحين تستطيع أن تجرد المؤسسة الصهيونية من المقدرة على تهديد السلام فى فلسطين والشرق العربى تكون قد حققت السلام العالمى أكثر بكثير من هيئة الأمم المتحدة ذاتها .

٢١ - وأخيرا وليس آخرا يتحدثون عن مكاسب سياسية هائلة تتمثل فى قبول الولايات المتحدة الأمريكية الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية أو الاعتراف بها إن اعترفت المنظمة بإسرائيل . هذه

الولايات المتحدة الأمريكية التي لا ينكر حتى عملاؤها والمتعاملون معها أنها المسؤولة الأولى عن إقامة دولة اسرائيل على الأرض العربية وفلسطين وعن تشريد العرب من أرضهم وعن بقاء اسرائيل " حية " حتى اليوم بما تقدمه اليها من غذاء مالى واقتصادى وعسكرى ، وأنها ، أى الولايات المتحدة الأمريكية - هي التي تحول دون هزيمة اسرائيل هزيمة تسحقها لو تركت لقواتها الذاتية . وأنها - أى الولايات المتحدة الأمريكية - هي التي وضعت تحت تصرف اسرائيل القوة الدولية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والبشرية التي مكنتها من أن تهزم الدول العربية عام ١٩٤٨ و عام ١٩٥٦ و عام ١٩٦٧ وتصد هجومها عام ١٩٧٣ وتفتح الثغرة غرب القناة وتعود الى المرتفعات السورية ، وهي التي خطت ودعمت ما نفذته اسرائيل من غزو جنوب لبنان ومن حصار لبيروت وتدمير لها ، وهي التي زودت اسرائيل بالقوة الراجحة التي حالت دون النجدة العربية، وهي التي فرضت هيمنتها على أغلب الدول العربية من خلال علاقات تبعية واضحة أو خفية فبقيت " تتفرج " على الغزو والحصار والتدمير والقتل والتعذيب بدون أن ترفع أصبعا ، ولو من باب الشهامة ، للدفاع عن الشعب العربى فى لبنان وقواته المقاتلة . والولايات المتحدة هي التي حولت اسرائيل منذ عام ١٩٧٣ الى ترسانة من أسلحة معقدة ومتطورة أخذتها لا من الفائض الأمريكى بل من مخازن القوات المسلحة الأمريكية ذاتها وأخلت بها إخلالا جسيما بموازن القوى العسكرية فى الصراع العربى الصهيونى ، وهي التي تقدم الى اسرائيل الدعم المالى والاقتصادى والفنى والدولى لبناء المستعمرات فى الأرض المحتلة

- ٣٤ -

منذ ١٩٦٧ وتعوق المجهودات الدولية التي تحاول إيقاف العدوان عند حد أو إنصاف المعتدى عليهم فى أدنى الحدود وذلك باستعمالها " الفاجر " لحق الفيتو ..

إنها الولايات المتحدة الأمريكية الى قيل أنها تملك ٩٩% من اوراق اللعبة وقيل ١٠٠% ، لا بالمعنى الذى أراده القائلون ولكن بمعنى أنها تحمل ٩٩% أو ١٠٠% من المسؤولية .. عن اغتصاب فلسطين وتشريد الشعب العربى منها ، فهي العدو الأول للشعب العربى منها ،

فهي العدو الأول للشعب العربي في نضاله من أجل التحرير عن التبعية وتحرير الأرض المغتصبة ، والمسئول الأول عن كل قطرة دم عربية أريقت في معارك تحرير الأرض العربية .

عندما بادرت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الى الاعتراف بإسرائيل ، كانت طرفا رئيسيا في معاهدين دوليتين أبرمتها عشرون دولة . الأولى معاهدة " لاما " والثانية معاهدة " موننتفيديو " وفي كل من المعاهدين نص يقول أن المتعاقدين يقررون بحسم وكمبدأ سلوك كل منهم التزامهم الدقيق بعدم الاعتراف بالاستيلاء على أية أراض أو أية مكاسب إقليمية عن طريق القوة .. ومع ذلك لم تتردد لحظة في تسليح المجرمين وتمكينهم من إنجاز اغتصاب فلسطين ثم الاعتراف بدولتهم وحمايتها وجرت وراءها كل المتعاهدين .

إن العقبة الحقيقية في سبيل الحوار المجدي مع الولايات المتحدة الأمريكية أنها هي العدو الأول وما اسرائيل الا كلب الحراسة الذي تشد أنيابه ليتولى حراسة مصالحها في الوطن العربي ، فما الذي يمكن أن يؤدي إليه الحوار مع العدو - أي عدو - إلا التشكيك في الحق وإضعاف الروح المعنوية والقتالية لدى الشعب وهي جريمة تعاقب عليها كل الدول بالإعدام ، سنرى فيما بعد كيف يجب أن يكون التعامل مع الولايات المتحدة الأمريكية من حيث هي العدو ، ونكتفى الآن بمحاورة الذين يتوهمون أن الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية يحقق لمنظمة التحرير الفلسطينية مكسبا كبيرا أو صغيرا .

- ٣٥ -

لقد قلنا أن العقبة الحقيقية أما جدوى الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية أنها العدو الأول ونعرف أن كثيرا من الدول العربية لاتعجبها هذه الصيغ الجدية في التعبير عن الواقع ويفضلون - " الاعتدال " فليكن .. فنحن نريد أن نساعد " المعتدلين " حتى يعتدلوا ..

ماهي الولايات المتحدة الأمريكية التي تهمننا ؟..

أنها ليست تلك الرقعة الفسيحة من الأرض الغنية التي تتوسط القارة الأمريكية وليس ذلك الخليط الغريب من الأجناس والشعوب والأديان والألوان ونفايات الحضارات التي حملها المهاجرين الى تلك البقعة وأقاموا من خليطها دولة . وليست ذلك الثراء الباذخ والتقدم العلمي الكبير والمقدرة العسكرية المخيفة .. وليست الولايات المتحدة هي الكونجرس ولا الإدارة الأمريكية ولا الرئيس أيا كان رئيس الولايات المتحدة ، كل هذه العناصر المادية والبشرية التي تكون معا مايسمى الولايات المتحدة الأمريكية التي لاتهمنا - نحن العرب - فى شئ أو كان يمكن الا تهمنا فى شئ فليس فى أى من هذه العناصر ما يحمل الولايات المتحدة الأمريكية على الإعتداء على أرضنا أو على شعبنا أو يحملنا على العداوة لها ..

إنما عدونا الذى اعتدى علينا ولم يزل هو الولايات المتحدة " النظام " ومصدر العلاقة بين الصهيونية والولايات المتحدة الأمريكية هو ذلك "النظام " ولاتقوم اسرائيل بدور كلب الحراسة حماية لأى أمريكى ولكن حماية لذلك " النظام " إنه النظام الأمبريالى ، نعى النظام الرأسمالى الذى أصبح إمبراطورية تشمل أغلب أقطار الأرض والذى تقوم الولايات المتحدة الاميركية بدور القيادة فيه أخيرا بعد انجلترا وبعد ألمانيا من قبل، فتبع كلب الحراسة " اسرائيل " قيادته من ألمانيا الى انجلترا الى أمريكا .

قالوا لنا ألف مرة ، ويقولون بدون ملل ، لنكن واقعيين ولنندع جانبا الأفكار المجردة ولنسقط الشعارات الرنانة ولنكف عن المزايدات ، لبيهم . فلنكن جميعا واقعيين ولنتعامل مع الواقع كما هو قبل أن يحدد كل منا موقعه من هذا الواقع . والسؤال الذى نشترك فى طرحه والإجابة عليه هو : ماهو القانون الأساسى للنظام فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟ نبسط السؤال : مع ترك هامش للاختيارات الإنسانية والمعنوية ، ماهو العالم الذى

- ٣٦ -

يحدد ، فى التحليل الأخير ، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من أية قضية ؟ .. إنه " الربح " لسنا نحن الذين نقول هذا بل علم " الاقتصاد

السياسى " الذى تبلغ واقعيته وبروده ، حد تجاهل المبادئ الإنسانية والأخلاقية والدينية . وما دولة الولايات المتحدة الأمريكية من أو رئيسها الى آخر " مرمطون " فى مطابخ قواتها المسلحة إلا أدوات لفتح وتوسيع وحماية الأسواق أمام النشاط الرأسمالى العالمى الذى يطلقون عليه الإمبريالية . وماكان " المعتدلون " العرب أصدقاء الولايات المتحدة الأمريكية لوحدة " المزاج " بينهم وبينها ، ولكن لأنهم شركاء معها أو تابعين فى نشاطات اقتصادية ومالية تحقق للولايات المتحدة الأمريكية أرباحا أو مزيدا من الأرباح وتحقق لهم " فوائد " ربوية هائلة جزاء إيداع فائض أموالهم فى البنوك الأمريكية أو - وهذا باعث جديد - لأنهم عاجزون عن إدارة اقتصاد دولهم إدارة ناجحة فوضوه تحت تصرف الولايات المتحدة الأمريكية لعلها أن تنمى نصيبهم منه فى مقابل أن تأخذ منه نصيبها . فكلهم بدرجة أو بأخرى ، أدوات كبيرة أو صغيرة فى ذلك الجهاز العدوانى الذى وضع الولايات المتحدة الأمريكية فى موقع العداء لمصير شعبنا .. وكلهم مضطرون الى " الإعتداء " لتغطية الانحياز ومن يحاول أن يمثل الى حيث قومه يجر الى موقع الاعتدال من أمعاء شعبه التى تقبض عليها اليد الأمريكية . وهكذا - ظلت بعض الأمزجة العربية "معتدلة " حتى وهى ترى رأى العين على شاشات التلفزيون مذابح صابرا وشاتيلا ، وهى تسمع سماع الأذن استغاثة العزل من الرجال والنساء والأطفال وهم يمزقون تمزيقا .

فى هذا الواقع أن " الربح " هو الذى يحدد الموقف الأمريكى ، ماهى جدوى حوار تجربته منظمة التحرير الفلسطينية مع الولايات المتحدة الأمريكية ؟ ماهى مصادر الأرباح التى يمكن لشعب مشرد ومقاتلين متفرقين فى الأرض ومنظمة أفقر من شركة أمريكية أن يقدموها الى الولايات المتحدة الأمريكية ؟ .. لاشئ . لا . هناك شئ هام جدا للولايات المتحدة الأمريكية من حيث هو مصدر ربح ، إنه الاستقرار للوطن العربى . الهدوء . أى المساهمة عن طريق امتناع عن الفعل فى حماية وتنمية مصادر الربح الأمريكى فى الوطن العربى . كيف يمكن هذا ؟ بأن تخدم

الثورة الفلسطينية ، وتتلاشى منظمة التحرير الفلسطينية ، بأن يتنازل الشعب عن وطنه لتمكين الولايات المتحدة الأمريكية وشركائها وعملائها من تحقيق أكبر قدر من أرباح بهدوء .

من يشك في هذا عليه أن يتذكر التبشير الذي قدمته الولايات المتحدة الأمريكية وما تزال تقدمه لرفض " توسلات " أصدقائها في الوطن العربي بأن تسمح بإقامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية وغزة .. إنها لم ترفض لأن الضفة الغربية وغزة ليست أرضا فلسطينية ، ولا لأن الشعب العربي الفلسطيني غير موجود ، ولا حتى لأن ليس له حق تقرير مصيره .. إنما ترفض لسبب وحيد تكرر دائما : أن هذه الدولة الفلسطينية حين تقوم يرجح أن تكون اشتراكية أو على علاقة بالدول الاشتراكية وبالتالي فستكون بؤرة تنطلق منها مخاطر الاشتراكية التي تهدد المصالح المربحة ربعا خرافيا للولايات المتحدة في الوطن العربي ، وليتصور من يريد كيف أن دولة تستغل نصف الكرة الأرضية وثلاثة أرباع البشر فيها للحصول على الأرباح ، تحرم شعبا من تقرير مصيره لأنه " قد " يهدد جزءا من أسواق تجارتها . حينئذ سيعرف من لم يعرف ماهو جوهر الواقعية والاعتدال في الوطن العربي . سيعرفون أن وراء الاعتدال " مشاركة واقعية " واستغلال الوطن العربي أرضا وبشرا .

من مواقع هذه المشاركة الواقعية تنطلق الدعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية تطلب إليها أن تعترف بإسرائيل حتى تقبل الولايات المتحدة الأمريكية الحوار معها . ويحاولون إقناع غيرهم بأن في هذا الحوار ستستطيع كمنظمة التحرير الفلسطينية أن تقنع الولايات المتحدة الأمريكية ، لا أدري كيف بأن أبدا أبدا لن يعتنق فلسطيني واحد في دولة فلسطين المبادئ الاشتراكية ، وأنهم يضمنون من الآن ، لا أدري كيف ، أن الأجيال القادمة والقادمة ستكون أجيالا مغلقة العقل دون

الاشتراكية مشلولة المقدرة على التطور الاجتماعي .. وقد يقبل السيد ريجان حينئذ أن يسمح بقيام دولة فلسطينية بدلا من حشر الشعب الفلسطيني والضفة وغزة في " خيمة " الأردن .

فأين هذه المكاسب التي ستجنيها منظمة التحرير الفلسطينية ؟.

-٣٨-

أن تصبح حكومة في دولة فلسطينية ؟

مستحيل ؟.

٢٢- إن الحكومة القادمة في الدولة الفلسطينية سيختارها الشعب العربي الفلسطيني ، وليس هناك أدنى شك في أن الشعب سيختار لحكومته من ترشحهم منظمة التحرير الفلسطينية لو قامت الثورة الفلسطينية كثمرة لانتصار ولو جزئي تحررت به أرض ولو في حدود مدينة . إن اختيار مرشحي المنظمة في هذه الحالة ليشكلوا أول حكومة هو تجديد للثقة بالمنتصرين . ولكن لنفرض العكس ، قامت الدولة الفلسطينية كثمرة حوار مقنع مع الولايات المتحدة الأمريكية ، تتجاهل مؤقتا الموقف الإسرائيلي وكانت قوة الإقناع فيه مستمدة من اعتراف المنظمة بدولة اسرائيل ، ذلك الاعتراف الذي عرفنا أنه موقف صهيوني ، ثم جاء وقت اختيار الشعب لحكومته الأولى . كيف سيختار هذا الشعب الذي عانى طويلا حكاما له وممن قادوه نحو عشرون عاما من مكان الى مكان ألى أماكن ، واقتحموا به معارك الفشل والقتال والتشريد والعقاب والعذاب وقدموا من أبنائه عشرات الألوف ضحايا في معارك وحشية ، وأصابوا الأمهات بالثكل والزوجات بالترمل والأطفال باليتم من أجل وعد ، وثق به الشعب ، بتحرير فلسطين المغتصبة ، ثم جاءوا في نهاية المطاف " يعترفون " بأن فلسطين المغتصبة من حق الصهاينة وأن ليس للعرب حق فيها ، وأن كل التضحيات قد ذهبت هدرا نتيجة " خطأ " في معرفة لمن الأرض ؟ كيف يثق الشعب في وعود حكومة لم يصدق أفرادها وعودهم من قبل .

مستحيل .

فأين هي المكاسب التي ستجنيها منظمة التحرير الفلسطينية ؟
أن تكسب للشعب العربي الفلسطيني دولة ؟

الدولة الموعودة :

٢٣- الشعب العربي الفلسطيني مشرد في الأرض ، مطارذ في الوطن العربي ، يعاني أهوال الإذلال والبطش في الضفة وغزة ، يعامل معاملة المواطن من الدرجة الثالثة في فلسطين المغتصبة ، الشعب العربي الفلسطيني

- ٣٩ -

أجده العذاب المتصل ، استنزفت دمه المعارك غير المتكافئة ، الأرض العربية والضفة وغزة " يهودونا " يقيمون عليها المستوطنات ، يزرعون فيها البشر ، لا بد من إيقاف المعاناة ، لا بد من جمع المشردين ، لا بد من إنقاذ الأرض ... لا بد من دولة فلسطينية في الضفة وغزة .

وتكاد تنفطر قلوبنا ألما وحسرة ، وتكاد تجف دماؤنا خزيا وعارا ، لأن الأمور قد وصلت بشعبنا العربي وبأرضنا العربية الى ما يقولون . وما يقولونه صحيح .

" نعم " إذا لدولة فلسطينية . نعم لدولة فلسطينية في الضفة وغزة . نعم لدولة فلسطينية ولو في مدينة . نعم لأية دولة فلسطينية على أي قطعة من فلسطين بدون شروط . لا يوجد عربي واحد يبلغ به الغباء أو الغرور أو البلاهة حد اشتراطه شروطا لقيام دولة فلسطينية . سمعت من قائد مرموق في قمة منظمة التحرير الفلسطينية أن صحب أبا عمار في الحج إلى بيت الله ، أو العمرة ، لا أنكر أيهما ، وهناك رأى أبا عمار يتشبث بستار الكعبة يشدها ويصرخ مستغيثا : دولة فلسطينية يارب .. بعدها عاد الى جنوب لبنان ليستأنف تشبثه بالبندقية . إلى هذا الحد لا يريد الشعب العربي الفلسطيني إلا دولة .. يدعو لها دعاء المتضرعين

ويقاتل من أجلها قتال المجاهدين . ويقبلها أينما تكون على أرض فلسطين ولايعنيه فى شئ كيف تقوم ولو قامت بمساعدة الأمريكيين .

ولكن ، أيها الناس ، لم يعرض أحد على منظمة التحرير الفلسطينية "دولة " ولم يسمح أحد لمنظمة التحرير الفلسطينية بأن تقيم دولة . المعروض على منظمة التحرير الفلسطينية أن تعترف بإسرائيل فترضى عنها الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد تحاورها ، وقد تعدها بدولة فلسطينية . المؤكد من كل هذا أنه معروض على منظمة التحرير الفلسطينية أن تعترف بإسرائيل . أما الحوار مع الولايات المتحدة الأمريكية فوعد غير موثوق . وأما موضوع الحوار فغير معروف . وأما مايسفر عن الحوار ففي عالم الغيب . وأما الذى يقطع الألسنة ، أو مايجب أن يقطعها ، فهو إعلان الولايات المتحدة المتكرر بأنها لن تقبل قيام دولة فلسطينية أبدا .

المعروض على منظمة التحرير الفلسطينية أن تقسم فلسطين والشعب

- ٤٠ -

العربى الفلسطينى أرضا وبشرا ، بعضه فى دولة الأردن وبعضه فى دولة اسرائيل ، هذا هو العرض الأمريكى . أما الطرف الصهيونى فيقدم عرضين : العرض الأول هو عرض كامب ديفيد ، حكم ذاتى إدارى فى الضفة الغربية وغزة يساهم فيها سكان تحت السيادة الإسرائيلية على الأرض والبشر معا ، والعرض الثانى تطرحه المعارضة فى إسرائيل : السكان فى الضفة وغزة تحت سلطة الحكم الإدارى الأردنى . الأرض تحت السلطة العسكرية الإسرائيلية ، ومجردة من السلاح ومفتوحة الأبواب ، أما العرض " الأوروبى " فهو أحسن صورة دولة فلسطينية منزوعة السلاح لمصلحة اسرائيل ، التى من حقها عقد اتفاق صهيونى يضمن أمنها ضد أى اتجاه معاد لإسرائيل فكريا أو حركيا أو قتاليا .

فأين هى الدولة الفلسطينية فى كل هذه العروض ؟.

٢٤- إن كل الذين يقدمون عروضهم " بدولة فلسطينية " موعودة مقابل الاعتراف بإسرائيل يعلمون علم اليقين أنه لا توجد مؤسسة تستحق إسم "الدولة " الا اذا كانت كاملة السيادة ، سيادة شعبها على أرضها واستقلاله بالأرض دون غيره كاملة السيادة فى أن تقيم سلطتها الوطنية بالطريقة التى يرتضيها الشعب بدون تدخل . كاملة السيادة فى أن تصوغ الحياة فيها طبقا لما يحقق مصالح شعبها كما يراها شعبها . كاملة السيادة فى أن تدافع عن إقليمها ضد أى اعتداء يقع عليه بكل ما تملك من قوة وبدون قيود . كاملة السيادة فى ان تنشئ أو تعدل أو تلغى أية علاقة مع دولة أخرى طبقا لما تراه محققا لمصالح شعبها ، كاملة السيادة فى أن تعبر عن إرادة شعبها وتنفذ هذه الإرادة بدون إكراه .

وكلهم يعرفون معرفة اليقين أن أية مؤسسة تفقد سيادتها جزئيا أو كليا، ليست دولة ولو قامت فيها حكومة تحكم شعبا مقيما على أرض ، إنها بمعنى أو بآخر مستعمرة . وشعبها بمعنى أو بآخر مستعمر ، وحكومتها بمعنى أو بآخر عميله تطيع مكرهة أو راضية ما يصدر إليها من أوامر أو وصايا أو نصائح من خارجها .

فلماذا يطلقون على عروضهم اسم " دولة " وهم يعلمون تماما أنها أيا كانت منقوصة السيادة أو فاقدتها ، ولماذا يبشرون الشعب العربى المشرد الذى

- ٤١ -

يعانى ، الذى يقاتل ، بهذه المؤسسة التى سيعيش فيها منقوص الحرية أو فاقدها . إن كل الفلسطينيين ، فى أى مكان كانوا الآن خارج الأرض المحتلة أكثر حرية مما سيكونون فى هذه المؤسسة التى يسمونها دولة إنهم سيكونون دولة فيها على مستوى الذين يحملون على أكتافهم الآن أثقال الاحتلال الاسرائيلى فى فلسطين المغتصبة ، أنها ستكون " استاد " كبيرا مثل " استاد " بيروت الذى تجمع فيه المقاتلون منزوعى السلاح ، كل مافى الأمر أنهم لن يغادروه الى حيث يعوضون ما فقدوه من مقدرة على القتال ، بل سيحاصرون فيه ليبقوا منزوعى السلاح تحت الحراسة الإسرائيلية والأردنية أو ربما تحت الحراسة الدولية .

٢٥- ومع ذلك فالتأمل الفجر الفاجر الذي لامثيل له في التاريخ ،
الوعد هو : اعترفوا بإسرائيل تكن لكم دولة ، ولكنكم أيها الناس
تعرفون تماما أنه لا بد لنا من دولة لتكون لنا صلاحية الاعتراف ، وأن
فرض الاعتراف على الدولة ، أية دولة ، هو اعتداء على سيادتها
يجردها من أن تكون دولة فيفقد اعترافها أية قيمة .

ثم يقال أن الاعتراف يخرج منظمة التحرير من مأزقها الذي دخلته
بعد أن خرجت من بيروت ، مع أنه لم يحدث في التاريخ أن دعى شعب
الى مأزق مثل مأزق الاعتراف . على الأقل لأن كل المأزق لها مخارج
ظاهرة أو خفية ، أما مأزق الاعتراف فهو مقبرة منظمة التحرير
الفلسطينية التي لا تخرج منها .

البديل :

٢٦- يقال وما البديل ؟... أصبحت " مودة " في الوطن العربي منذ
كامب ديفيد ، أن يكون البديل الجاهز عن الحجة المفتقدة هو القول :
وما البديل ؟ هذا خطأ ، ما البديل ؟ هذا استسلام . ما البديل ؟ هذه خيانة
. ما البديل ؟ .. لا للاعتراف . ما البديل ؟. أليس من حق الناس أن تفهم
أن هذا السؤال عن البديل قد سبقه في ضمير السائل اعتراف بأن
"الإعتراف" استسلام وخيانة ، بلى ، إلا عند السوفسطائيين الذين
يجردون الألفاظ من معانيها ثم يتقاذفونها كالمعلبات الفارغة .

مهما كانت الظواهر لانهب أن نتهم عربيا صادق الحيرة في البحث
عن

- ٤٢ -

بديل وهو يدرك من ذات نفسه أن دعوة منظمة التحرير الفلسطينية إلى
الإعتراف بإسرائيل هي دعوة للاستسلام أو الخيانة ، فنقل إذا ببساطة
بسيطة أن البديل عن " الاعتراف " هو " عدم الاعتراف " أليس هذا
بدهيا .

ثم نضيف أن عدم الاعتراف ليس موقفا سلبيا كما يبدو من صياغته . لا ، إنه أحد المبادئ العتيدة فى القانون الدولى التى تعبر عن الممارسة الايجابية للسيادة والاستقلال . والغريب أن مبدأ عدم الاعتراف يرتبط تاريخيا بالولايات المتحدة . فى عام ١٩١٥ وجهت اليابان الى الصين مذكرة تحاول بها الحصول لنفسها على امتيازات فى الصين وقبلت الصين ماطلبته اليابان ولكن الولايات المتحدة الأمريكية احتجت لدى الدولتين بأنها لا تستطيع أن تعترف بأن اتفاق بين الصين واليابان يتضمن مساسا بالسيادة الإقليمية لجمهورية الصين ، وكررت هذا الموقف فى مذكرة مماثلة أرسلها وزير خارجيتها ١٩٣٢ الى الصين واليابان أيضا ، وتبنته عصابة الأمم وأيده ، فقهاء القانون الدولى وأصبح " عدم الاعتراف " مبدأ من مبادئه ارتبط باسم وزير خارجية الولايات المتحدة : "ستمسون".

ولكننا نعترف أن هذا البديل لايكفى ، لا لأن منظمة التحرير الفلسطينية ليست حكومة فى دولة مستقلة لتقع اختياراتها فى نطاق مبادئ القانون الدولى فحسب ، بل أيضا لأننا نفترض أن العربى الحائر حتى اليأس عن بديل يريد موقفا إيجابيا يوقف الهزائم على الأقل أو يتقدم إن أمكن ولو خطوة صغيرة على طريق تحرير فلسطين .

حينئذ لانملك الا أن نقول لاحول ولا قوة إلا بالله ، كيف تفرق الهزائم أفئدة الناس ، فيجزعون وتثير الاضطراب فى عقولهم فلا يعقلون ، وتعمى أبصارهم فلا يبصرون حتى مايقبضون عليه بأيديهم من أسباب النجاة .

على أى حال فأننا نجتهد فنقول واثقين أنه لم يحدث فى تاريخ الصراع العربى أن أتاحت من أسباب النصر على الصهيونية مثل ما هو متاح الآن. وأنه لم يحدث فى تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية أن تملك على المقدرة على الانتصار قدر ما تملكته بعد ان خرجت من بيروت . ذلك لأنه الآن ، والآن فقط ، حرقت فى نيران بيروت ودفنت مع شهداء صابرا وشاتيلا كل

الأساليب والنظم والدول التي خلفت في العقل العربي أو هام نصر غير قابل للتحقيق . الآن ثبت أنه لا خيار إلا القتال المسلح والعنف العنيف . وأن كل النظم الرأسمالية والمتابعة لها إما عدو أو حليف للعدو . وأن كل الدول العربية منفردة أو مجتمعة لن تستطيع تحرير فلسطين . بعد هذا التطير بالنار التي أحرقت أو هام صاحبت التقدم الدامي على الطريق المسدود ، أصبح مشروعاً أن يثور السؤال ما البديل ؟ وأصبحت الإجابة ممكنة .

من الذى يسأل ، أعنى من الذى يبحث عن بديل ؟..

٢٧- أن تكن منظمة التحرير الفلسطينية فقد كان خروجها من بيروت مفتاحاً لبدائل كثيرة نثق ، ولاشك أنها تثق ، وأنها قد انتصرت نهائياً في معركة البقاء التي كانت تخوضها منذ أن ولدت ، الآن أصبح مستحياً على الصهاينة والأمريكيين وحلفائهم أن يتصوروا المستقبل بدون منظمة التحرير الفلسطينية . فأتت فرصة تصفيتها وأصبحت راسخة الجذور في المجتمع العالمي تحافظ عليها كل الدول وكل الشعوب حتى الولايات المتحدة الأمريكية . إن كانت فقدت الكثير من سلاحها فقد كشفت معارك بيروت أنها تملك سلاحاً ماضياً سيفتح لها أبواب النصر ، وسيجبر أعداءها على التسليم لها طال ألزمن أو قصر أنه " عدم الاعتراف " . إن الدول والأساطيل والقوات المسلحة التي حملت مقاتليها وحرسات أعلامهم وهم يغادرون بيروت هي الأدلة المادية الحاسمة على أن وجودها أصبح ضرورة حيوية لهذه الدول والعالم اجمع يبقونها لتعترف بإسرائيل .. إذن لاتعترف بإسرائيل تحت أى ظرف وهي واثقة بأن الصبر الطويل سيحمل الجميع - فى النهاية - على أن يعترفوا بدولة فلسطين المحررة . هذا أحد البدائل .

ثمة بديل آخر لم تعثر عليه الثورة الفلسطينية بل ألقيت إليه وكان بعيد المنال .

لقد بعثت القوات المناضلة فى أطراف الوطن العربى ، أبعدوا عن "كلب الحراسة " ليجدوا أنفسهم داخل عباءة العدو الأول : الولايات المتحدة الأمريكية . وماله من موقع إن أحسنوا الاستفادة به فلن يخرجوا منه إلا الى فلسطين المتحررة ، فمن حولهم ، وفى متناول أيديهم عدوهم الأول متجسدا فى مصالحه ، إنهم لا يستطيعون القضاء على تلك المصالح نهائيا ،

- ٤٤ -

نعم ، ولكن من الذى قال أن هذا لازم .. يكفى أن تتحول الأرباح الأمريكية الى خسائر بالمعنى " المادى " للربح والخسارة ليؤدى قانون النظام الأمريكى دوره . وحين تفتتح الإمبراطورية المالية التى تسخر حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وقواتها المسلحة لفتح وتأمين مجالات الربح فى الوطن العربى إلى أنه لامجال لأى ربح مادامت فلسطين مغتصبة ، فستحمل تلك الإمبراطورية المالية المجردة من أية مبادئ ، ستحمل خادما القابع فى البيت الأبيض وأعوانه وقواته على إخلاء الطريق أمام العرب ليخلوا فلسطين من مغتصبيها .

وهذا بديل

ثم هناك بديل لابد أن تكون معارك بيروت قد أقنعت منظمة التحرير الفلسطينية بجدواه بعد تردد طويل . فى يناير ١٩٧٥ كتبنا نقول : " .. إن الثورة الفلسطينية قد اقتربت - وهى تتقدم - من نهاية المطاف وعليها أن تتمرد على ذاتها لتكون قابلة للالتحام العضوى مع القوى القومية التقدمية إيدانا بمولد الثورة العربية . وبكل الإخلاص الصادق الذى لانملك غيره - الآن - نقول أن مرحلة " الثورة الفلسطينية " قد اوشكت على نهايتها وحققت أقصى ماتسمح به طاقتها وظروفها الإقليمية وعليها أن تعد نفسها من الآن لتكون جزءا عضويا من متطلبات المرحلة المقبلة : الثورة العربية .

".. إن مسؤولية هذا الميلاد التاريخي لاتقع على الثورة الفلسطينية وحدها وإن كانت تتحمل قدرا كبيرا من المسؤولية عنه . أما باقى المسؤولية فيقع على أولئك الذين يطيب لنا الحديث عنهم تحت عنوان القوى القومية التقدمية ..".

فإن كانت الإقليمية داخل الثورة وخارجها قد حالت دون أن تتطور الثورة الفلسطينية الى ثورة عربية ، بإقامة حواجز بينها وبين الجماهير العربية العريضة فهى معارك بيروت قد ألفت بالثورة الفلسطينية فى محيط الجماهير العربية بعيدا عن الحصر الإقليمي .

هاهى قد أعادتها عنوة الى رحم أمتها العربية لتولد من جديد ثورة

- ٤٥ -

عربية ، وهى قادرة الآن على أن تتطهر من جرائم الإقليمية داخلها وهوام الإقليمية خارجها .

وهذا بديل ، أكثر البدائل حسما فى معركة تحرير فلسطين ..،

٢٨- أما إذا كانت الدول العربية هى التى تبحث عن البديل فلا يكفيننا أن نقول لها جميعا إرفعى يدك عن فلسطين ولو حياء من موقفك وقوى الثورة محاصرة فى بيروت ، بل نقول أنه من الغريب أنها هى أيضا قد أصبحت بعد معارك بيروت تملك أفضل البدائل منذ عام ١٩٧٣ ، فلنتأمل معا منذ ١٩٧٤ لم يهدأ أى جهاز تعبير فى حكومة مصر العربية من أول رئيس الجمهورية الى آخر مذيع فى إذاعة إقليمية عن التأكيد على أن مصر لاتقبل ولم تقبل صلحا منفردا مع إسرائيل ، وأنها لاتفرط ولم تفرط فى حقوق شعب فلسطين ، وأنها لاتتخلى ولم تتخل عن مسؤولياتها القومية . فى ظل هذا الإعلام المكثف المتصل أبرمت اتفاقيات كامب ديفيد واتفاقية الصلح وبدأت مفاوضات الحكم الذاتى ، وتمسك منذ عام بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره . إذا ، أرادت حكومة مصر العربية وتريد أن تقنع العرب جميعا بما فيهم الشعب العربى فى مصر أن اتفاقياتها مع اسرائيل كانت مقترنة فى ذهنها بشرط فاضح هو تمكين شعب فلسطين من تقرير مصيره . ولقد

كانت حددت خمس سنوات بعد كامب ديفيد لتحقيق هذه الغاية . اليوم لم يبق على نهاية السنوات الخمس غير تسعة أشهر . وتحت سمع وبصر حكومة الاستهانة المذلة التي تمارسها إسرائيل بكل ما وعدت به وما اتفقت عليه وإن " طابا " على ذلك شهيد ، وتحت سمعها وبصرها التصفية الجسدية لشعب فلسطين في لبنان ... فهل تبحث الحكومة في مصر عن بديل يصحح كل مافات ويعيد إليها مركز قيادتها في الصف العربي يحيطها بتأييد أكثر من مائة مليون من جماهير الأمة العربية؟.

إن كانت تبحث فيها هو : بيان من رئاسة الجمهورية بأنه إذا لم يستطع العالم أن يمكن شعب فلسطين من تقرير مصيره بحرية وبدون تدخل من أية قوة قبل ٢٢ سبتمبر ١٩٨٣ فإن مصر تعتبر اتفاقية كامب ديفيد واتفاقية السلام منتهية ، وستتخذ المواقف التي تراها على هذا الأساس .

- ٤٦ -

إن هذا البيان وحده هو الذى يحدد مضمون الجملة الرنانة " وضع العالم أمام مسؤوليته " .

إن بيانا جادا بهذا المعنى سيخلع قلوب العالم العربى وسيضع كل حكومة فيه أمام مسؤوليتها أمام شعبها . وستولى هذه الشعوب ما لا نستطيعه نحن : إكراهها على أن تدفع ثمن السلام الذى اختلسته نصبا واحتيالا . وسيكون له فى الوطن العربى أثر " النفخ فى الصور " تبعث به الى الحياة دولا وقوى أصبحت أمواتا ، وستتراص القوى العربية صفا كما يحدث قبل معركة ١٩٧٣ ، وكما بعد معركة ١٩٦٧ ، وكما حدث أثناء ١٩٥٦ ، وستحل به المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأنه سيحل وثاق المذلة الذى أفقد الإنسان العربى حق المقدره فى التفكير ، دعونا نعرى عصا الولايات المتحدة الأمريكية العملاقة ، فمن قبل ضربت لنا الأسطورة مثلا أن النبى العملاق سليمان عليه السلام مات متكئا على عصاه ، وبقيت مخلوقات الأرض تخدمه ظنا بأنه مادام واقفا على قدميه فهو ذا قوة عظمى ، إلى أن استطاع مخلوق دقيق أن يرب عصاه فلما انكسرت انهار العملاق .

فإذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية المتحلبة اجتماعيا من الداخل تقف على عصا الاقتصادية فلنفرها حتى تنهار أو تجثو على ركبتها ، وإن كان العالم كله يتكئ على عصا السلام فى الوطن العربى مطمئنا الى عجزنا عن الإهتداء الى البدائل أو عجزنا عن استعمال البدائل المتاحة ، فلنذكره بأن ليس ثمة بديل عن فلسطين إلا انهيار السلام فى الوطن العربى وفى العالم. وحين نتذكر ونفرض عليه جديتنا فسيخلى بيننا وبين ذلك العدو الصهيونى كل بقوته الخاصة . حينئذ سنلقى الصهاينة فى البحر .

نعم لقد قالوا ألف مرة سيلقون العرب فى الصحراء فلم يتذكرها أحد ، ولم نقل قط أننا سنلقى الصهاينة فى البحر ، وسندوها إلينا ، وسألونا عنها، وحاسبونا عليها حسابا عسيرا . وبقينا دهرا ندفع تهمة بقول لم نقله إلى .. إلى أن ألقوا قوى الثورة الفلسطينية فى البحر . فلنقلها الآن ولنكررها دائما فقد ثبت حتى لأكثر الناس بلادة أن القضية هى : إما نحن

- ٤٧ -

وإما هم فى فلسطين . وحين يأتى ذلك الحين الذى سنفرضه ونلقيهم فى البحر فلن نغضب من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وإيطاليا أن جاءت أساطيلها تلتقطهم وتحملهم بعيدا عن الأرض العربية كما حملت أصحاب الأرض العربية بعيدا عنها .

هذا إذا كانت ثمة يبحث عن بديل حقا ، فهو ثمة من يبحث عن بديل؟.

فى أبريل ١٩٧٠ قلنا فى حوار علنى فصائل المقاومة جرى فى عمان أن اسرائيل قد نشأت ونمت وتعيش فى حماية الدول العربية فهل كنا - نحن القوميين - مخطئين ؟

القاهرة فى ٢٨ ديسمبر ١٩٨٢
دكتور عصمت سيف الدولة